

روايات مصرجة اللحيب



39

# أسطورة التوءمين

ما وراء الطبيعة

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^RAYAHEEN^



ما وراء الطبيعة

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

الروايات المصرية الاحدث

RAYAHEENA

### أسطورة التوءمين

كان الضباب الغوستفوري  
الرقراق يتسلل كالدخان في فضاء  
الغرفة ، منبعثاً من رأس (ناهد) ،  
ليلتف ببطء حول رأس وراس (إيجور) ،  
ثم ينتهي ليحيط برأس (نجلاء) ..  
ونظرت مستغيثاً إلى (إيجور) لكنه  
- لحسن الحظ - لم يبد مذهولاً ..  
كان يعرف ماعليه أن  
يتوقعه ....



د. احمد خالد توفيق

## مقدمة

في هذا الكتيب نستكمل حكاية التوأمين ( نجلاء )  
و ( ناهد ) ، والتتين صار لاسمهما ذات رنين (هنا) و  
(شيرين) أو ( ريا ) و (سكينة) بالنسبة لمسمى ..  
ولمن لم يقرءوا الكتيب السابق أقول : أرجو أن  
تقرءوا الكتيب السابق ، لأن التلخيص يفسد كل  
شيء ..

فقط نضع بعض النقاط على الحروف فنذكركم  
أن التوأمين قد اكتشفنا وجود تطابق شعوري تام  
بينهما .. إن الألم الذي تشعر به إحداهما يزور  
الأخرى في الوقت ذاته في المكان ذاته ..

عرفنا كذلك أن (نجلاء) تمثل الفتاة متوسطة الجمال  
- بمنعنا التهذيب من وصفها بالقبح - الذكية إلى  
حد ما .. وهي أول من لاحظ هذه الظاهرة وقررت  
- لشدة نكاتها - الاستعانة بي أنا ( رفعت إسماعيل )  
صديق خالها ..

أما ( ناهد ) فتمثل الفتاة باهرة الجمال - بمنعها

## الفصل الأول : مجرد تهيئة .. ولعل الفصل الثاني

أكثر حيوية ..

ونعود لجلستنا الصامتة في غرفة الجلوس ، نتبادل صوت الألفاس .. ونصفي لدقات الساعة المعلقة في الركن ..

دوى صوت أذان الفجر من مسجد قريب ، ففطنت لأول مرة إلى أنني لم أتم .. بل تذكرت - فجأة - أن لى منزلاً لم أعد إليه هذه الليلة .. غريب هذا الحماس منى أنا الذى كففت منذ سبعة وتسعين عاماً عن الحماس لأى شيء .. يبدو أنني ما زلت شاباً إلى حد ما ..

قال د. ( محمد ) وهو يشمر عن ذراعيه وبصوت مرهق ناعس :

« هل تريد دخول الحمام يا ( رفعت ) ؟ »

قلت فى غيظ :

« أنا هنا منذ الثامنة مساءً .. ولو لم أكن بحاجة

للحمام لكان معنى هذا إصابتى بفشل كلوى واتسداد

معوى معاً ! »

التهديب من الصراخ البهاراً بها - فارغة الرأس ،  
ثقيلة الظل .. تزوجت مبكراً وأنجبت ، لكنها ما زالت  
تعانى مطاردة الحب العنيد السمج لأفئاق يدعى  
( صلاح ) ، لم يقبل قط حقيقة كونها تزوجت ..

إن مضايقات ( صلاح ) لا تنتهى .. وقد أحال حياة  
الأسرة الهادئة إلى جحيم حقيقي .. والكارثة هنا هي  
أنه يعرف الآن سرَّ الأختين الصغير ، ويعرف أن  
الطريقة المثلى لإيذاء ( ناهد ) هي عن طريق إيذاء  
( نجلاء ) .. إن ( ناهد ) محاصرة بحراسة لا تهمد ..  
أما ( نجلاء ) فلا ..

ولأسباب يطول شرحها ؛ وجدت نفسي متورطاً  
حتى الساقين في مستنقع العلاقات الأسرية المعقدة  
المتشابكة لهذه الأسرة .. ووجدت نفسي أمام علاقة  
المقت والتشكك العجيبة بين الأختين ، اللتين تحمل كل  
منهما حقداً وحسداً لا يأس به نحو الأخرى ..

لهذا ظلت علامات الاستفهام تترافق أمامي ..

إن أشياء غير عادية ستحدث ..

أشعر بهذا ..

أعرفه جيداً .....

## الفصل الأول : مجرد تهيد .. ولعل الفصل الثاني

أكثر حيوية ..

ونعود لجلستنا الصامتة في غرفة الجنوس ، نتبادل  
صوت الأنفاس .. ونصغى لدقات الساعة المعلقة في  
الركن ..

دوى صوت أذان الفجر من مسجد قريب ، فلفظت  
لأول مرة إلى أنني لم أتم .. بل تذكرت - فجأة - أن  
لي منزلاً لم أعد إليه هذه الليلة .. غريب هذا الحماس  
منى أنا الذي كففت منذ سبعة وتسعين عاماً عن  
الحماس لأي شيء .. يبدو أنني ما زلت شاباً إلى  
هذا ما ..

قال د. ( محمد ) وهو يشمر عن تراعيه وبصوت  
مرهق ناعس :

- « هل تريد دخول الحمام يا ( رفعت ) ؟ »

قلت في غيظ :

- « أنا هنا منذ الثامنة مساءً .. ولو لم أكن بحاجة

للحمام لكان معنى هذا إصابتي بفشل كلوى واتسداد

معوى معاً ! »

هز يده كأنما ينصحني بأن أخرس ، وقال :  
 - « حسن .. حسن .. لم أقارف إثمًا إذ سألتك ..  
 تفضل إلى الحمام ... »  
 وناولني شيشبًا زلفًا مبتلأً كي أذهب به .. صوت  
 الصمت ، وصوت الأذان القادم من بعيد .. وإرهاق  
 السهر .. كل هذا يحمل مذاقًا خاصًا .. مذاق الشجن ..  
 الأحران التي اخترنتها الأجيال تركزت وعتقت ، وهو  
 ذا إكسيرها يتلخص في لحظات شفافة هي السمو  
 ذاته ..

\*\*\*

بعدما فرغنا من الصلاة ، أعد لنا ( محمود ) مزيداً  
 من أكواب الشاي الأسود لأسكبها على الأريكة ،  
 وجاءت لنا الأم بصينية عليها طبق من البيض المقلى  
 الغارق في السمن ، ومعه رغيفان أو ثلاثة .. ولسان  
 حالها يقول : كلوا ، ولكم أمقت أن أراكم تفعلون ا  
 ويل للوعد الذي يجرؤ على هذا ..  
 ولم نجرؤ طبعاً ..

بعد دقائق من الصمت ، سألتني ( محمود ) :  
 - « حتى هذه اللحظة لم أفهم ما تنتوي عمله .. »

قلت وأنا أرشف ما بقي من الشاي في كوبى :  
 - « إن ( نجلاء ) نائمة الآن .. عرفت هذا لأن  
 (ناهد) نائمة .. كل ما بوسعنا هو أن ننتظر حتى تبدأ  
 في الصراخ ثانية ، وعندها نعرف يقيناً أن ( صلاح )  
 عاد يمارس هوايته .. »  
 - « وبعدها ؟ »  
 مدت يدي إلى المحقن الزجاجي الذي وضعته معداً  
 على المنضدة :

- « بعدها أعطى (ناهد) هذه الجرعة من  
 ( البارالدهايد ) .. »  
 ازدادت عيناه حولاً دلالة على اهتمامه بالأمر ،  
 وسألني :

- « وما دور هذا الـ ( بارالدايد ) ؟ »  
 - « ( بارالدهايد ) .. إنه سيجعلها تغرق في نعاس  
 عميق مريب .. »  
 - « تريد ألا تشعر ( نجلاء ) بالتعذيب ؟ »

- « بل أريد ما هو أكثر .. إن ( صلاح ) لا يفقه  
 شيئاً في الطب ، ولنسوف نجد أن ضحيته سقطت

فائدة التطق والوعى .. بعبارة أخرى سيشرح كأنها  
ماتت .. أو توشك على الموت .. «

- « وهذا ما يريد .. »

- « بل هذا آخر ما يريد .. »

ووضعت المحقق بحذر في مكانه ، ونظرت إلى  
( محمد شاهين ) الذي لا يتابع حرفاً مما نقول ..  
كان رأسه قد سقط على صدره وراح يغط كحافلة  
الأرياف ..

قلت لـ ( محمود ) بعد ما نتأهيت مرتين :

- « إننا نلعب على نقطة واهية .. نكفئ - بما

أعرفه عن طبائع البشر - أعتقد أننا نستطيع الاعتماد  
عليها : ( صلاح ) ليس بقاتل .. ثم إنه يحب ( ناهد )

ولن يتركها تموت .. وهو - مثلنا - يتوقع أن موت  
( نجلاء ) يقود بالضرورة إلى موت ( ناهد ) .. ماذا

يفعل عندئذ ؟ إن مصير فكرتى يتوقف على تصرفه  
وقتها .. سيصيبه الذعر .. هذا مؤكد .. بعدها

سيفر تاركاً الجمل بما حمل ، أو يطلب العون الطبي  
مجازفاً باقتضاح سره .. وهما احتمالان يزيدان من

فرصتنا .. «

حك رأسه كأنما يورغم الفكرة على الدخول ، ثم  
قال :

- « وماذا لو أصابه الذعر أكثر من اللازم ؟ ماذا  
لو قرّر أن يحرق ضحيته ليخفى آثار الجريمة ؟ كلهم  
يفعل ذلك .. »

- « لا أعتقد .. إن رهاتى الوحيد هنا هو على

فهى لطبايع البشر .. ( صلاح ) لا يقتل أبداً ، ولو

قتل فلن يبدأ بـ ( ناهد ) التى هى ( نجلاء ) .. »

تتى ساقيه تحته طلباً لبعض الراحة .. والحقيقة

هى أن جلسنا هذه جعلتنى أشعر بأن ظهري قضيب

سكة حديدية ، وأردافى ترن أطنافاً حتى لتغوص فى

الأريكة أميالاً وأميالاً .. قال :

- « وما هدف مغامرته هذه إن لم يكن القتل ؟ ماذا

سيفعل بـ ( نجلاء ) بعد ما يملأ أساليب التعذيب كلها ؟

إنها تعرف عنه كل شيء الآن .. »

قلت متأوها :

- « آى اظهري أعتقد أن كل ما يحدث وسيلة

للضغط علينا .. وفى النهاية سيقدم عرضه المجنون ..

طلقوا ( ناهد ) وزوجها لى .. وإلا ستموت أماً مع

( نجلاء ) فى اللحظة ذاتها ! «

- « ويظن الأمر بهذه السهولة ؟ »

- « لم لا ؟ هو غير ناضج اجتماعياً .. مجرد طفل في برائن ( الهوى ) التي لا تهان للمجتمع ولا تتنازل عن أية رغبة .. وبالتسوية له أنت معتد أليم .. وغد يجب أن يقتل ضرباً بالأحذية .. »

- « أشكرك على دقة تعبيرك .. »

- « لهذا أعتقد وأومن وأثق وأجزم بأن (صلاح) لن يتمادى .. تجربتنا هذه ستحطم حاجز ثقته ، ليوقف في العراء يرتجف برداً ورعباً .. ولهذا أيضاً أرى أن ... »  
عندها دوت صرخة ( ناهد ) المرعبة .....

« أرى أن ... » ماذا ؟ حقاً لم أعد أتكرر .. إن النساء قتلات قصص محترفات ، والمعجزة الحقيقية هي أن تستكمل جملة واحدة تامة حين تكون امرأة في الجور .. »  
قلت له وأنا أتأمل المحقق :

- « هذه هي لحظة الحقيقة كما يقول الإنجليز .. ستريحها هذه الجرعة من آلامها وآلام أختها .. »  
ودلفت معه إلى الحجرة حيث كانت المرأة المذعورة المولودة .. رفعت الملاءة ، وقلت لها شيئاً عن الحقنة التي ستريحها ، وقالت هي شيئاً عن

حاجتها إلى أي شيء ولو كان سماً ، ثم بعد دقائق غابت في نعاس عميق .. لو كانت ( نجلاء ) تمر الآن بهذا النعاس الفجائي ، فلا بد أن ذعر خاطفها شديد .. لو لم أكن طبيباً لحسبتها ميتة حقاً ..

تحسمت نبضها ليطمئن قلبي ، وأنا أتمم راحة ( البارالدهايد ) المقيتة في هواء الغرفة .. ثم أشرت إلى الزوج كي يغادر الحجرة ..

- « ليس بوسعنا الآن سوى الانتظار .. »

\*\*\*

لكم يثير ملتي أن أعرف أنني على صواب في كل مرة ، فلا توجد مرة واحدة يخيب فيها رأيي أو يتضح لي أنني حمار ..

في العاشرة صباحاً كان هناك رجل شرطة على الباب ، وكان مرآه كافياً كي يبعث خيالات المشرحة والمستشفيات في عقولنا جميعاً .. وكان بدوره متوتراً قلقاً ، أخبرنا أن ( نجلاء ) موجودة الآن في المستشفى لكنه لا يعرف تفاصيل أكثر ..

وهرعنا - أنا والزوج و ( محمد شاهين ) - إلى المستشفى المذكور ، لتجد ( نجلاء ) هناك في أسوأ



حال ممكن .. الكدمات تملأ وجهها .. والخدوش فى كل صوب .. بالإضافة إلى أنها كانت فى حالة من الوعي نذكرك بالغيوبية ..

وعرفنا أن شرطة النجدة تلقت مكالمة هاتفية من مجهول - مذعور كذلك - يخبرهم بأن هناك فتاة فى حالة سيئة ، فى بنىابة لم يستكمل بناؤها بعد فى ( حلوان ) ، وناشدهم بالإسراع لأنها توشك على الموت إن لم تكن ماتت بعد .. وبالطبع وضع السماعه قبل أن يسألهم المساعد عن بياناته ..

وانتقل رجال الشرطة إلى هناك ليجدوا أن البنىابة خالية تقريباً .. لا يوجد أمامها خفير يدخن المعسل ، ولا ينبج فى مدخلها كلب أجرب المفترض أنه مخيف .. صعدوا فى درجات السلم الطوبوية إلى الطابق الرابع .. وأخيراً وجدوا فتاة مقيدة ملقاة جوار الجدار ، وكانت تشى بأثار معاملة سيئة حقاً .. بالإضافة لهذا وجدوا حشية مفروشة على الأرض الترابية، وبعض أطعمة ، ولفافات تبغ كثيرة تركها من خطفها حوله ..

كانوا هذه المرة بحاجة إلى سيارة إسعاف ، وحين وصلت هذه بعد ساعتين كالعادة ، مما يدلك على لهفتهم

الشديدة - نقلت الفتاة إلى المستشفى ، وقال الأطباء إنها على ما يُرام جسدياً .. فقط ضربت بشدة وعُف غير معادين .. المشكلة الوحيدة هى أنها مصدومة نفسياً وعاطفياً ، وبالتالي صار استجوابها مستحيل فى هذه الآونة .. ويبدو - كما قال الأطباء - أنها تحت تأثير مخدر ما ..

كان هذا كل شىء ، وقد أجبنا عن أسئلة المحضر بعدد لا بأس به من الإجابات كلها على غرار ( لا أعرف .. لست متأكدًا .. هذا محتمل ) .. لكن الزوج أصر على ذكر اسم ( صلاح ) فى المحضر .. فهو يتهمه بكل شىء ، ويطالب رجال الشرطة بالقبض عليه فى أقرب وقت ..

وحين فرغنا ، قال لى د. ( محمد شاهين ) :

- « كانت نظريتك صائبة برغم كل شىء .. إن أعصاب الفتى لم تتحمل أن يراها تموت أمامه، وربما بسببه .. لكن هل تعتقد أن الخطر ما زال قائماً ؟ »  
قلت وأنا أرمق ( نجلاء ) الغافية ، بينما خراطيم المحاليل تتشابك حولها كغاية من الخطر :

- « مع (صلاح) أو من دونه : سيقتل الخطر قائماً .. إن هاتين الفتاتين مرغمتان على أن تتقاسما مشاعرهما ، والأدهى أنهما تكرهان بعضهما .. ربما إلى حد أن تؤذى الواحدة نفسها لتؤذى الأخرى .. هذا وضع غير طبعى .. وكل الأوضاع غير الطبيعية خطيرة ما لم يثبت العكس ..

\* \* \*

## الفصل الثاني : إعداد .. ولعل الفصل الثالث

يناسبك أكثر ..

في الأيام التالية دنونا برفق من عالم (نجلاء) الشائك ، ولم يحاول واحد منا أن يذكرها بما هو أكثر من اللازم .. كانت تتحسن ببطء ، لكن ذكرى ما حدث ظلت منطقة محرمة بالنسبة لنا ، وتعاهدنا - دون أن نقولها - على أن نتركها هي تتكلم أولاً .. فإن لم تفعل فلن يبدأ أحدنا ..

كانت الشرطة متلهفة على سماع اتهامها الواضح الصريح لـ (صلاح) ، لكن الفتاة ظلت تتحاشى هذا المنعطف في كلامها .. وأدركت أنه هدها كثيراً ، حتى صار بالنسبة لها كائنًا يفوق القدرات البشرية .. كضميرها .. كالأخ الأكبر الذي يراقبنا في قصة (جورج أورويل) .. لو تكلمت أكثر فسوف يعرف بابا (صلاح) ويذيقك الويل .. الويل الذي لا يقدر أي (محمود) أو (رفعت) أو (محمد شاهين) أو أي رجل شرطة على منعه ..

ومن نافذة القول هنا أن أقول إن (صلاح) اختفى ..  
تلاشى تماماً .. بحثوا عنه في كل مكان فلم يجدوه ..  
وظل السؤال معلقاً : كيف اختطفها ؟ كيف نقلها  
إلى (حلوان) على مرمى أحجار من دار أختها ؟  
كيف ولماذا اختار هذه البناية المهجورة ؟ ماذا كان  
يريد بالضبط ؟

وهكذا دارت الأيام كما يحدث في أفلام السينما  
المبكرة : تطايرت الأوراق من عسى تقويم الحائط ،  
حتى مرّ شهر كامل ..

\*\*\*

كنت أمشي في أروقة إدارة الجامعة ، باحثاً عن  
موظف يسبب لي مزيداً من المشاكل ، ويقول لي إن  
أوراقى لن تتم أبداً لهذا السبب أو ذاك ، حين قابلته ..  
من ؟ د. ( محمد شاهين ) طبعاً .. فمن الطبيعي أنني  
لا أعيش لدى تلك الأسرة ، والحقيقة هي أنني لم ألقه  
منذ عشرة أيام ..

بعد التحيات المبثلة بالعرق سألته عن ( ناهد )  
و ( نجلاء ) ، فقال لي باسمًا :  
- « ماذا ؟ ألم تعرف ؟ إن ( ناهد ) قد سافرت مع

زوجها إلى (أسوان) ، حيث سيعمل في السدّ العالى ..  
لقد كان يتهبب هذه الخطوة منذ زمن .. أنت تعرف  
كراهية المصري للترحال ، ويوم تركت قريتي لأدرس  
في ( القاهرة ) ، ودعّلتى أمى بالعويل على محطة  
القطار .. لكن ( محمود ) لم يعد يملك خياراً آخر ..  
إن ( أسوان ) تبعده عن ذلك الوغد الطليق .. ثم  
لا تنس أنه مهندس قبل أن يكون زوج ( ناهد ) .. «  
قمت بابتلاع المعطومة ومحاولة هضمها ..  
لا بأس .. لكنهم - الحمقى - ينسون أن ( نجلاء )  
ما زالت هنا ، وكان عليهم ترحيل الأختين إلى  
( سويسرا ) لو كانوا يطلبون الأمان حقاً ..  
قلت له وأنا أطوى أوراقى :

- « هذا جميل .. لكن ماذا عن ( نجلاء ) ؟ إنها  
ما زالت متاحة على ما أظن .. »  
نظرة غريبة التمعت في عينيه .. نظرة أشارت  
هنئى .. وبلاوجه قال :

- « ما رأيك في ( نجلاء ) ؟ »

دون حذر قلت :

- « فتاة طيبة ذكية تمت تربيتها جيداً .. »

- « وسيدة بيت من الطراز الأول ! »

- « إنها ليست جميلة .. لكن وجهها مريح يسر النفس .. »

- « جداً ! » - واحمر وجهه معرف ديك، وأردف:

- « نحن نتفق على الخطوط الأساسية إذن ! »

- « أية خطوط ؟ »

نظر حوله ليتأكد من عدم وجود مراقبين ، ثم تأبط ذراعي بذراعه الدسمة المكتنزة ، واقتادني ليستند ظهرى إلى الحائط ، كما يفعل رجال الشرطة فى الأفلام الأمريكية عندما يعتقدون نص المتاجر :

- « ( رفعت ) .. أتت أختى وتعرف جيداً كم أحب

مصالحك .. إن المثل يقول: ( اخطب لابنتك ولا تخطب

لابنتك ) .. و ( نجلاء ) عزيزة أثيرة إلى نفسى .. وأرأسى

أبخسها حقها لو سمحت لأى وعد آخر .. أ ... لأى

رجل آخر أن يظفر بها ! »

كنت أنا نموذجاً مجسداً للغباء والبلاهة : وفى

النهاية تمكنت من تشكيل الأحرف فى شكل جملة :

- « هل تعزح ؟ »

- « لا مزاح فى الحلال .. إن ( نجلاء ) بحاجة

إلى رجل يحميها ، وأنت رجل حقيقى .. يعلم الله أنك

رجل حقيقى .. »

مسحت قطرات لعابه من على وجهى ، وعدت

أصبح :

- « أنا غير قادر على حماية نفسى من بعوضة ،

وتطالبنى بحماية هذه الفتاة التى تتحمل آلامها وآلام

أختها معاً ؟ ثم .. هى فى عمر ابنتى .. ولو تركت

أمى - رحمها الله - تزوجنى ( شفيقة ) ابنة العمدة

وأنا فى سن العشرين ؛ لكنت عندى طفلة فى عمر

( نجلاء ) .. ( محمد ) .. إما أنك جننت ، وإما أن

تصلب شرايين المخ قد .. »

هنا - فقط - تخلص وجهه ، وأدركت كم العواطف

الذى يكتمه طيلة هذا الوقت .. لقد كان عملياً على

وشك البكاء :

- « بنتى بمثابة أب لها الآن .. إن أباه لم يعد فى

حالت تسمح ب ... وأصارتك أن المسئولية ترهقتى ..

ترهقتى .. »

- « لهذا تثقيها فوق كتف أول حمار تلقاه ، مثلما

حاول ( أطلس ) أن يلقي بالكرة الأرضية فوق كتفى  
( هرقل ) ؟ »

من جديد بشئ وجهه :

- « أنا لست ( أطلس ) .. لكنك أفضل من ( هرقل ) .. »

- « اسمع يا ( محمد ) .. أنا الآن شيخ فان ..

ربما أبدو في العقد الخامس لكن قلبي وصحتي

يؤهلني لأن أكون في العقد العاشر .. ولا أجد نفسي

- بعد كل ما رأيت في حياتي - صالحاً لشيء سوى

أن أسعل ، وأطرب كوب ماء ، ثم أنطق بالشهادتين

وأموت .. وتحديثي عن الزواج بعد كل هذا !؟ »

بدا عليه القنوط ، وقال وهو يطنق سراحي :

- « لا تقل شيئاً الآن .. فكر ثم سأسألك تتيبة .. »

قررت تغيير الموضوع الشائك .. سأنته وأنا أطوى

أوراقى للمرة الثالثة :

- « هل ستعود ( نجلاء ) للعمل ؟ »

- « بالطبع لا .. إن ما حدث لها حدث وهي في

مكتب ذلك المحامي .. »

- « إنني عندي عمل لا بأس به لها .. »

- « حقاً ؟ وما هو ؟ »

\* \* \*

( مختار تجيب ) .. اسم له رنين قوى يوحى بمحام  
بارع أو طبيب نابه .. وكان صاحب هذا الاسم من  
بلدة مجاورة لبلدتي في ( الشرقية ) ، وهو من أسرة  
طبية عسى قدر لا بأس به من الثراء ، وقد صار  
محامياً استغنت به في مشكئة الأرض إياها التي أثارت  
خلافاً بين أمي وأخي .. لم يكن شخصاً رديناً لكن  
صوته العالي - إلى درجة سماع همسه حين يكون في  
بئر السلم وأنا في شقتي - جعلني زاهداً في توطيد  
علاقتي به ، وجعلني أفر من كل مناسبة تقرب بيننا ..  
لكني - بفضل الله تعالى طبعاً - استطعت أن  
أعالج ابنه من نوع نادر من أنواع فقر الدم ، وعسى  
طريقة زعماء ( المافيا ) صار مديناً لي بخدمة لا يمكن  
أن يرفضها ، ولي أن أسأله إياها في أية لحظة ..  
كان ( مختار ) سليل اللسان ، غير سهل الهضم ،  
يقع مكتبه في أكثر شوارع ( القاهرة ) إزدحاماً ،  
والبنائية نفسها ذات أهمية أمنية خاصة ، لذا هي  
مدججة برجال الشرطة المتتكرين منهم والسافرين ..  
باختصار : كان مكتب هذا الرجل هو أكثر الأماكن أمناً  
لصيبة مذعورة يطاردها مجنون ، خاصة إذا كانت  
هذه الصيبة محامية شابة ..

وهكذا ترونتي مع ( نجلاء ) في المصعد ، نتجه  
 للقاء محامينا الأشهر الذي سيعقد لها اختباراً سريعاً  
 لا بد أن تتجح فيه .. تحملت الكثير من الصراخ  
 والضحكات المجنجة التي يطوح فيها رأسه للوراء  
 وذقنه للأمام ، ثم التأكيد على أن الفتاة بخير ،  
 وسوف تكون كابنته أو أكثر ..

كنت مطمئناً لهذا ، وزاد من اطمئناني ذلك المحامي  
 الشاب الخجول الذي جلس يسترق نظرات أكثر خجلاً  
 لـ (نجلاء) .. كان اسمه (كمال) ، وأصابه نظيفة من  
 الخواتم تماماً .. إن هذه لحظة من اللحظات النادرة  
 التي يصير فيها المستقبل واضحاً تماماً وحتمياً ..  
 وابتسمت خلسة .. وتخيلت المحامية الشابة  
 المبتدلة المذعورة في ردهات المحكمة الرهيبة ،  
 لا تعرف شيئاً سوى ما ينصحها به ( كمال ) ، فلو  
 كانت هي ( النداهة ) أو كان هو مسخ ( فرانكشتاين )  
 نفسه ، فلا يهم .. الحب سيولد حتماً .. ولنسوق  
 تمضي حياة الفتاة في مسار طبيعي لا بأس به أبداً ..  
 ودعتها كأنني أم اطمأنت على قلدة كبتها ، وعدت  
 أمارس حياتي التي هي دائماً حياتي ..



كنت مطمئناً لهذا ، وزاد من اطمئناني ذلك المحامي الشاب  
 الخجول الذي يسترق نظرات أكثر خجلاً لـ ( نجلاء ) ..

لكن القضية لم تنته بعد .. ولم تمت المشكلة ..  
ظلت تطل برأسها خارج التابوت في إصرار  
غريب ..

\*\*\*

متى حدثت المأساة التالية ؟  
لا أنكر بالضبط .. ربما بعد هذا بثلاثة أشهر ..  
أذكر فقط أنني كنت في مكتبي أقرأ بعض المراجع  
الطبية ، حين .....

\*\*\*

**الفصل الثالث :** إطباق كبير ويمكن أن تبدأ  
بالفصل الرابع ..

دق جرس الهاتف في مكتبي ، فرفعت السماعه  
لأعرف الكارثة التالية .. لماذا كارثة ؟ لأن هذا  
الجرس الأحمق لا يدق إلا لهذا السبب :

- « ألو ؟ »

كان هذا صوتاً جهورياً يمكن سماعه من دون  
هاتف ، فقلت :

- « ( مختار ) ؟ ماذا حدث ؟ »

- « الفتاة .. ( نجلاء ) .. إنها في حالة صحية

مريية .. »

- « هذا لن يكون غريباً علي .. »

- « لقد طلبت منا الاتصال بك حالاً .. رفضت أن

نطلب الإسعاف .. بالله عليك أسرع يا ( رفعت ) ،

فقد نلنا من صراخها ما يكفي .. »

- « ولكن .. »

- « أما بانتظارك » ( كليك ! ) .. »

وهتف ( كمال ) فى هستيريا وهو يقرب كوب ماء  
من شفيتها :

- « افعل شيئاً يا دكتور ! لو كانت بحاجة إلى دس  
لفخوه ! »

ولما أمقت هذا النوع من التطوع العاطفى الذى لم  
يطلبه أحد ..

من تحدث عن دم هنا ؟ قلت وأنا أنهضه :

- « نسنا فى أحد أفلام ( توجو مزلحى ) يا بنى .. إن  
خير ما تقدمه لها هو أن تكف عن صب السوائل فى  
فمها ، فخير ما سيحدث هو أن تقرء فوق ثيابك .. »

ولد ( مختار ) قلت وأنا أشخبط كلمات على ورقة :

- « أما عنك ، فرغبتك فى الخلاص منها حتى  
لا تموت فى مكتبك وتجلب لك المصائب ، رغبتك هذه  
لا تهمنى البتة .. قل لأحد العمال أن يجلب لنا هذه  
الأدوية حالاً .. »

بدا مترنذا فأخرجت ورقة عملة بسستها فى يده ،  
متعمداً الإهانة .. لكنه كان عملياً أكثر من اللازم ،  
فاكتفى بأخذ المال والورقة والخروج من الغرفة ..  
لهذا ينجح الناس ويترون بينما أفضل أنا ..

وبغياء رحت أرمق السماعة فى يدى .. لا مفر  
ولا منجى لى إذن .. إنها لقادرة على العثور على فى  
أى مكان وأية لحظة ، وكما شعرت ( ناهد ) بصداغ  
أو آلام فى ظهرها .. والمشكلة هى عجزى التام عن  
التنصل .. ألم أكن أنا الذى زرع تلك العصبية فى  
مكتب ( مختار ) ؟

وهكذا ارتديت سترتى ، وهرعت إلى سيارتى ..  
سيكون الوصول إلى مكتب ( مختار ) والعثور على  
مكان للتوقف مستحيلاً فى ساعة كهذه .. لكن ما باليد  
حيلة ..

\* \* \*

وتحسستُ خصرها حيث رقت على المقعد الجلدى ،  
لا تكف عن الأمين .. فأطلقت صرخة عارمة وانفجرت  
بأكية ..

كان الأمر واضحاً .. مقص كلوى شديد إلى درجة  
أنه جعلها تصرخ ، وهى من الطراز الصموت الخجول  
الذى يصرخ عن طريق عض شفتيه ..

قال لى ( مختار ) وهو يشعل لفافة تبغه الثالثة :  
- « يجب أن تأخذها معك ! لا يمكن تركها هنا .. »



جاء الدواء ، فأفرغت ما استطعت منه فى عروق  
الفتاة ، وبدا لى أنها تتحسّن حقاً .. نظرت لساعتي  
فوجدت أنها الثالثة بعد الظهر ، ولا بد أن هناك  
مشهداً مأساوياً مماثلاً يحدث فى ( أسوان ) الآن ..  
« هل أنت بخير الآن يا ( نجلاء ) ؟ »

بصعوبة فتحت شفطيتها اللتين التصقتا بالعشور ،  
وقالت :

« نـ .. نعم .. شكراً لك .. »

« إذن تعالى ببطء .. سأوصلك للبيت .. »

دون كلمة أخرى أعاد لى ( مختار ) عشرين قرشاً  
بقيت من مالى بعد شراء الدواء ، وقال فى كياسة  
إنه يرحب بأن تأخذ الفتاة إجازة لمدة يومين .. أما  
( كمال ) فعانقتى فى حرارة ليغرق وجهى بالدموع  
والعرق .. إنه عاشق متحمس حقاً ، ولا بد أنه يقضى  
لها الكثير من أغاتى ( عبد الحليم حافظ ) بصوته  
الأجش المشروخ ..

وفى سيارتى سألتها عن رقم هاتف ( ناهد ) فى  
( أسوان ) ، فلا بد من إخطار الزوج بالأمر .  
كانت منهكة ملبدة الفكر نوعاً من تأثير الدواء

الذى يحوى بعض المخدر طبعاً - لكنها أمّت الرقم  
ببطء شديد ، وكررتة أنا كى استظهد ، ووصلنا  
لدارها فسأدتها على الصعود ، وبالطبع قوبلت بأفطع  
عاصفة من الهستيريا والجزع .. وكان على أن أؤكد  
لهم أننى نست السبب فيما حدث ..

فى النهاية نزلت الدرجات المهشمة ، واتجهت إلى  
السنترال المجاور كى أتصل بـ ( أسوان ) .. وفى تلك  
الأيام كان الاتصال بمحافظة أخرى يستغرق نفس  
الوقت اللازم لنسفر إليها بقطار الدرجة الثالثة ..

لا بد أننى ترددت شيوخوخة ، حين سمعت صوت  
الموظف يهدر فى مكبر الصوت بالرقم الذى طلبته ،  
وهرعت إلى الكابينة لأخفقها على ، وأسمع صوت  
( محمود ) يتساعل عن المتكلم ..

« إنه أنا يا (ياشمهندس) .. ( رفعت إسماعيل ) .. »  
« أعوذ بالله ! هل توفى أبو ( ناهد ) ؟ »

« للأسف لا .. أردت أن أطمئنك على ( نجلاء ) ..  
لقد انتهت نوبة المغص الكلوى ، ولا بد أن ( ناهد )  
بخير بدورها الآن .. »

ساد الصمت هنيهة ، ثم غمغم فى بلاهة :

« مفص ؟ إن ( ناهد ) على ما يزعم .. أعدت لنا  
الغذاء وتناولته معي ، ثم هي الآن تغسل الأطباق  
في المطبخ .. لحظة .. ها هي ذى قادمة ! لا شيء  
يا ( ناهد ) .. لا شيء .. لم يمت أحد .. إنه ذلك  
الطبيب يؤكد أنك تتألمين من المغص الكلوي .. حتى  
لو كنت بخير فلا تصدقي ذلك لأن الأطباء لا يخطئون  
أبداً .. »

وسمعت صوتها تغغم بشيء ما ، ثم جاء صوته :  
« على كل حال أشكرك يا دكتور .. أبلغ السلام  
لجميع من لديك ، وقل لهم أن يتصلوا بنا .. »  
ووضع السماعة ..  
غادرت الكابينة غارقاً في العرق .. عرق القَيْظ  
وعرق الارتباك ..

إن ( ناهد ) لم تمرْ بالألم ذاته .. للمرة الأولى  
منذ بدأت الظاهرة ، أجهداً تتصرف بشكل منفصل عن  
شقيقتها .

ما هو التفسير ؟

التفسير الأول : هو أن الظاهرة انتهت .. كان لها  
زمن معين ثم استنفدت أسبابها ومواردها ، وانتهت ..

لما يفتك بنا فيروس ( الإنفلونزا ) لأيام ، ثم يقرر  
هجأة أن ينهي دورة حياته ..

التفسير الثاني : هو أن بُعد المسافة لعب دوراً في  
اضعاف الظاهرة ، وهو تفسير يمكن قبوله إذا  
المريض أن موجات أثرية معينة تنتقل من واحدة  
للأخرى ، ولا يمكن قبوله إذا تبيننا نظرية ( ساعة  
الحياة ) التي تحدثنا عنها في الكتيب السابق ( الفصل  
التاسع ) ..

الطريقة الوحيدة للاستقراء هي أن نجرب إحداث  
الم لدى ( نجلاء ) ، وبشكل متكرر ، فإذا حدث توارد  
شعوري كان هذا دليلاً على وجود خطأ ما .. وإن لم  
يحدث كان عتيقاً أن تقرب الأختين ونعيد التجربة ..  
بهذا يمكننا قبول أحد التفسيرين أو رفضهما معاً ..

\* \* \*

عدت إلى الشقة لأطمئن على ( نجلاء ) من جديد ..  
كانت نائمة بنك الإيهام الذي يلي المغص الكلوي ،  
ويجعل تمييز المريض من الملاءة عسيراً حقاً ..

سألني الأب عن صحة ( ناهد ) ، وهو حذس  
غريب لأنني لم أقل لأحد أنني سأتصل بها .. والأغرب

هو أن الرجل يعني ما يحدث حوله جيداً ، وكنت أظنه لا يفهم ما يحدث بوضوح ..

- « بخير .. بخير .. »

وقربت مقعدى من فراش ( نجلاء ) ، وكانت المرأة الأولى التى أجد فيها وقتاً لأتأمل الغرفة الضيقة التى شهدت صبا الشقيقتين .. كانت مطيية بالجير الذى تشقق فى عدة مواضع ، والسقف يشى بتسرب ماء حدث فى وقت ما .. وعلى الجدار صور مقصوفة من مجلات فنية عليها نجوم الساعة : ( عبد الحليم حافظ ) - ( سعاد حسنى ) .. ثم كتابات على الجدار بعضها كلمات من أغان ، وبعضها دعاء بالتجاح .. وكانت خزانة الثياب مفتوحة تكشف عن بعض ( البلوزات ) الرخيصة التى - حتماً - تشاجرت الفتاتان كثيراً بسببها يوماً ما .. ( ناهد ) هاتم قد ارتدت بلوزتى الجديدة دون أن تطلب إنسى .. ( نجلاء ) سرقت دبابيس شعرى .. أين قميص نومي الأبيض !؟

وابتسمت ، وتمنيت ألا يرى أحد ابتسامتى .. لقد رأيت فى حياتى أفخم القصور فى (سكوتلندا) ، وأرقى الفنادق فى ( جنيف ) ، لكن هذا الجو العصرى الحميم ما زال يثير حنيناً شديداً فى أعماقى ..

فتحت عينيها ببطء ، ورمشت قليلاً .. فسألتها بصوت رقيق :

- « ( نجلاء ) .. هل أنت بخير الآن ؟ »

- « نه ... نعم .. »

- « لدى سؤال واحد .. لو أجبت عليه سأرحل ويمكنك العودة للنوم .. »

- « قلّه .. »

- « هل حدثت لك آلام غير مبرزة منذ سافرت

( ناهد ) إلى ( أسوان ) ؟ »

رمشت من جديد ، بعينين حمراوين زالغتين كأنما تتذكر .. ثم قالت :

- « لا .. مرة واحدة أو مرتين .. لقد تحسن

الوضع كثيراً .. »

- « هذا هو كل شيء .. شكراً .. »

ونهضت ، ودعوت الأب كى يقودنى لباب الشقة ..

يمكن القول إن المسافة هى العامل الأساسى الذى أدى

لشفاء هاتين المزعجتين .. إن اتصاليهما شبيه

بموجات الراديو التى تضعف عندما تمر السيارة تحت

نفق ..

ولأسباب مماثلة لا يستطيع مذياعى التقاط نشرة  
أخبار (الإسكيمو) لو كانت لديهم نشرة أخبار ..  
كل شيء واضح متسق ، وأعتقد أنني أستطيع  
إغلاق هذا الملف للأبد ، ووضعه فوق أحد رفوف  
ذاكرتى كي يغطيه الغبار وخيوط العنكبوت .. المهم —  
فحسب - ألا أتمنى أنه هناك .....

\*\*\*

## الفصل الرابع: كثير من المراء .. ولا أدري ما يجمع

من الانتقال للفصل الخامس ..

نتشرف بدعوتكم يوم الخميس ٧/١١ فى تمام  
الساعة السابعة مساء ..

لحضور حفل زفاف

**الآنسة / نجلاء عبد الجواد**

كريمة الأستاذ / عبد الجواد خليفة

المدير العام بالضرائب سابقاً إلى

**الأستاذ / كمال أبو قورة**

نجل الرحوم / محمود أبو قورة

وذلك فى منزل العروس . والعالية عندكم فى السرات .

تأملت الدعوة التى أحضرها لى د. ( محمد شاهين ) فى  
رضا .. كل شيء كما توقعته بالضبط ، وها هى ذى  
الدعوة المطبوعة بمزيج من اللونين الذهبى والفضى

مع رسم ساذج لعريس وعروس يتطلعان للسعادة في طريق مفروش بالورود ، يقود إلى عربة ذات خيول مطهمة !

بضحكتي دوماً هذا التصور الركيك للسعادة ، ولكني راض برغم كل شيء .. إن ( نجلاء ) فتاة طيبة طاهرة ، ومن حقها أن تمارس حياة طبيعية .. هل أذهب ؟ بالطبع .. أنا لا أطيق حفلات الزفاف ، لكني لا أطيق قضاء ليلة الخميس وحدي في داري ، وليست لدى خطة محددة .. ثم إن الفرار من ( محمد شاهين ) مستحيل على كل حال ..

\*\*\*

وهكذا - مرتدياً البذلة الكحلية التي جعلني فائتاً - توجهت إلى دار ( نجلاء ) ، وكشأت الأفراح في تلك الأيام تعقد دائماً على سطح البناية ، ولم تكن هناك تلك المظاهر العجيبة كأندية الخمسة نجوم ، والتورتة متعددة الطوابق ، ورقص العريس والعروس في حفل زفافهما .. ربما كنت متخلفاً ، لكني لا أسيغ هذه المظاهر الحالية على الإطلاق ..

كان الشارع كله مجتمعاً هناك ، والإضاءة تزيد الحر حرارة ، وثمة جارة بدينة قررت أن تلعب دور الراقصة ، مما لم يساعد على إضفاء مزيد من البهجة ..

ويظرف عيني لمحت باقة ورود عليها بطاقة ( مختار نجيب ) المحامي ..

هناك كانت ( نجلاء ) في الكوشة إلى يمين عريسها ، وقد حرص من زينها على أن يبدو مجهود واضحاً ، لقد حولها إلى أقبح عروس مولد يمكن أن تراها . أما ( كمال ) فكان يرتدي بذلة عسكرية اللون ، ولا يكف عن العرق والتظاهر بالمرح ..

محاوئاً أن تضربني الراقصة البدينة بكوعها - وفي هذا هلاكي حتماً - اجتزت المكان لأهني العروسين ، ودنا مصور أصلع كي يلتقط لنا صورة بأسعة طلبها العريس بالراح .

واستطعت أن أرى ( ناهد ) - وطفلها الذي تعتم المشي الآن - تشق طريقها ، وتطلق زغرودة قوية تلفت بها الأنظار ، أما ( محمود ) فكان يتشاجر مع أحدهم .. وكل الناس يتشاجرون في حفلات الزفاف

لسبب لا أفهمه حقاً .. ولاحظت بصمات شمس  
(أسوان) الحارقة على بشرته .

كان المقر الوحيد لى هو ركن المكان .. تسللت إلى  
هناك ، وأعطيت ظهري لكل هذا الزحام ، ورحت أرمق  
الظلام التقي المخيم على المنطقة ، وانتابتنى رجفة  
فى عروقي .. هذا الشعور المتفرد العتيد .. حين تدير  
ظهرك للصخب ، وتقف وحدك فى الظلام شاعراً  
بلذة الشجن .. لذة الحزن .. أو ما يسميه الإنجليز  
بـ (زهرة الحائط) ..

الشارع صامت ينعكس عليه ضوء شاحب من  
الزينة المعلقة على السطح ، والشارع خالٍ لأن كل  
سكاته يقفون الآن ورائى ..

استطعت أن أرى ذلك الخيال لأحد المارة يمشى  
الهوينى فى الطريق وقد بدا شاردًا .. شاردًا إلى  
درجة لا تسمح بها هذه الضوضاء ..  
نظر لأعلى نظرة عابرة ، ثم واصل المسير ، لكن  
هذا كان كافيًا لى ...

هذا (صلاح) ! برغم الظلام والمسافة عرفته ..

(صلاح) يحوم حول حفل الزفاف ، فلماذا ؟

لا أعتقد أنه سيقتم الحفل ليطلق الرصاص على  
(ناهد) .. الحياة ليست بهذه الميثودرامية التى تراها  
فى السينما .. هنا أكثر خطورة من الرصاص ..  
معناه أنه لم ينس قط ، ولم يتعلم قط ..  
معناه أنه قريب ، يعرف كل شيء عن هذه الأسرة ،  
وثمة شيء يختبر فى ذهنه طيلة الوقت ..

هل أصرخ وألفت نظر الموجودين ؟ فى الغالب  
لن أفيد بشيء من هذا سوى إفساد ليلة العمر على  
(نجلاء) .. (صلاح) سيختفى كما يختفى الفأر فى  
مقرب قمامة ، بمجرد أن يدرك أننا لاحظناه ..

رأيت أن الحل الأكثر صوابًا هو أن أخبر (محمود) ..  
ناديته ، واختليت به بعيدًا عن السامعين ، وأخبرته  
همسًا أن (صلاح) هنا ! إنه يحوم حول البناية ..

- « التوعد ! لا بد أنه ينتوى عملاً أحمق ! »  
- « لا أظن .. إنه يبحث عن وسيلة يرتكب بها  
عملاً أحمق ، لكنه لم يستقر على رأى بعد .. »  
- « وماذا ننتظر ؟ هل نلحق به .. »

- « كنت أفكر فى الشيء ذاته .. لكنى -أصارك-  
لمست من هواة أن أتلقى اللكمات فى أنفى أو الركلات

في بطنى، كما أتنى - بالتأكيد - لا أحب طعنات المدى  
في طحالى .. ولهذا - أصارحك - أشعر بالخوف من  
التعرض لهذا الشيء المخبول ..

احمر وجهه وزدادت عيناه حولاً :

- « دعه يحاول شيئاً كهذا ، ولمسوف يجمعون  
أشلاءه بالملقط .. »

وكور قبضته وانطلق ، فرحت أركض خلفه محاولاً  
أن أبذو على طبيعتى ..

وفى الشارع كان الظلام دامساً .. الانعكاسات  
الشاحبة لأضواء الزينة هى الشيء الوحيد الذى  
يجعلنا نميز ما حولنا ..

- « فلنتفرق ، وعلى من يراه أن يندز الآخر .. »

- « هل تقترح صيحة وعل ( الإستبس ) فى موسم

التزواج ؟ »

نظر لى فى الظلام ، فلم ألمح ضحكة التهكم على  
وجهه تعبيراً عن ثقل ظلى ، واتجه إلى اليمين  
فاتجهت إلى اليسار ..

ثم أمش سوى عشرين خطوة حتى وجدته .. كان  
خارجاً من زقاق جانبى ، وفى يده لفافة تبغ غير

مشتعلة .. لقد تبدل كثيراً حقاً ، فلم يعد يطيل شعر  
رأسه ، وأطال لحيته بطريقة غريبة ، إذ أوصنها  
بسالفيه ، حتى صار أقرب لصور كتب التاريخ التى تمثل  
الإمبراطور ( غليوم الأول ) أو ( غاريبالدى ) - لا أدرى  
من بالضبط - وعلى عينيه عيونات بلا إطار .. لكن  
من المستحيل أن يرى المرء هذا العود مرتين ..

دنا منى ، وباشعلز لا داعى له دس لفافة التبغ  
فى شفتيه ، وقال :

- « تشمخ تولع لى ؟ »

بسبب اللفافة التى شوهت حروفه .. وهنا فطنت إلى  
الحقيقة الغريبة : ( صلاح ) لا يعرفنى ولا يذكرنى ..  
لم يرئنى سوى دقيقة واحدة فى المستشفى ، ولربما  
لم يلحظنى أكثر ، أما أنا فأذكره جيداً بالطبع ..  
لقد رأيت ممثلاً سينماتياً شهيراً ذات مرة فى ميدان  
( التحرير ) ، ورأىنى هو أيضاً .. لكن من طبيعة  
الأشياء أننى ظللت أذكر كل تفاصيل ثيابه ، بينما هو  
نسينى بالتأكيد بعد دقيقة واحدة ..

وكان ( صلاح ) هو بطل هذا الفيلم .. يلعب دور  
( الشرير ) أو ( الفيلين ) ببراعة غير عادية .. لهذا  
نذكره جميعاً حتى لو لم يذكرنا هو ..

أشعلت له لفافة تبغ به بيد مرتجفة قليلاً ، ورحت  
أفكر : هل أصرخ الآن ؟ هل أنقض عليه وليكن  
ما يكون ؟

في النهاية وجدت حلاً مرضياً يعطله بعض الوقت ..  
رحت أسأله عن موضع محل شهير في ( شمرا ) ،  
وكان بعيداً عن هذا المكان يحتاج إلى كثير من  
الشرح .. وبطرف عيني نظرت إلى الناحية الأخرى  
من الطريق .. أين ( محمود ) ؟

كان ( صلاح ) يشير بذراعه ليوضح شرحه أكثر ..  
« هل تعرف تلك الصيدلية ؟ تعرفها ؟ ليكن ..  
مستغرقها وتتجه لليمين وتمشي دون توقف حتى تصل  
إلى سينما ( التحرير ) .. سينما ماذا ؟ »

« ( التحرير ) .. »

« لا بأس .. ومن هناك .. »

كان خيال ( محمود ) قائماً .. وفي اللحظة التالية  
وثبت على ( صلاح ) واحتضنته بذراعي بطريقة  
جعلتني بعيداً عن متناول قبضتيه .. لن يهرب ..

« ماذا ؟ هل جننت ؟ »



وفي اللحظة التالية وثبت على (صلاح) واحتضنته بذراعي  
بطريقة جعلتني بعيداً عن متناول قبضته ..



ولكن (محمود) فهم على الفور ، واندفع ركضاً إلى حيث كان جنودنا يلتحمان ، وسمعت صوت اللكمة الأولى كما كان يحدث في أفلام ( فريد شوقي ) .. المؤثرات الصوتية لأنواع الخشب المتضاربة ، و ( حميدو ) يقهر النصوص جميعاً .. سقطت على الأرض بين الأقدام ، فقد جرحت وأنا أثبت عويناتى على أفسى .. ورأيت الهول ذاته فى صراع الرجلين .. لم يكن صراع غضب أو صراع تحد ، بل هو صراع قتل .. أحد الرجلين يحاول قتل الآخر ..

كان ( صلاح ) تحت تأثير المفاجأة وعدم الفهم ، و ( محمود ) كان قوياً بحق .. لهذا سقط ( صلاح ) أرضاً ، ولم يكن الرق ببعده ساقط من أخلاق ( محمود ) اليوم ، لذا راح يركن الجسد فى أكثر المواضع إيذاءً له .. وهنا تنبهت للمرة الأولى .. لقد صرنا بصدد عملية قتل ..

- « ( محمود ) ! يكفيه هذا ولتطلب الشرطة ! »  
لكن سعار الجنون تسلط على المهندس ، زالت كل

مساحيق الحضارة ليتحول إلى رجل كهف يفتك برجل آخر من أجل السيطرة على العشييرة .. «  
- « ( محمود ) ! »

وجريت لأجذبه من نراعه، لكنه اقتزعها ووثب فى الهواء ليستقط فوق .. آى !! فوق ضلوع (صلاح) .. وقف يلهث كثور برى أنهكه الهنود على حين جثوت أنا جوار الفتى المعذب على الأرض ، وتحسست نبض عنقه .. لا ؟ نبض معصمه ؟ لا ؟ أشعنت عود ثقاب وتفحصت حدقة عينيه .. لا ؟

نهضت زاجف الساقين، وبصوت متحشرج أعلنتها:  
- « لقد مات ! »

- « إنه يتظاهر بذلك .. سيقيق حالاً .. »  
- « بل هو ميت فعلاً ، ولو كنت أنا عاجزاً عن تمييز الموت بعد ثلاثين عاماً من الطب ، فأنا فى مشكلة حقيقية .. »

هنا راحت المسكرة وجاءت الفكرة .. وقف حائراً يتأمل ( ما أوكته يداه وما نفخه فوه ) ، وللحظة حسبته على وشك البكاء ..  
- « والعمل ؟ »

- « لا عمل سوى إبلاغ الشرطة .. »

- « هل تمزح ؟ »

وتلفت حوله يرمى الشارع الخالي المظلم ، ثم هتف :

- « إن أحدا لم يرنا ولم يسمعنا وسط هذه

الضوضاء .. لن يعرف أحد أبدا ما حدث .. »

ابتسمت في شفقة لسذاجته ، وقلت :

- « أولاً : ليس هذا ديني .. أنا لا أخالف القانون ،

ولا أتهرب من مسئولية أخطائي .. ثانياً : من الحمق

أن تحسب الشرطة لن تتعرف الجثة .. إن الفتى له

سوابق كثيرة وبصماته عندهم ، ومن السهل أن

يعرفوا أن هذا ( صلاح ) .. ولنسوف يجدون أنه قتل

على بعد خطوات من دار الفتاة التي كان يهددها ..

وكل المدعوين للزفاف يمكنهم أن يؤكدوا أننا

غادروا الحفل في الساعة كذا ، وقد بدت الخطورة

على وجهينا .. لا يا ( محمود ) .. لا تحاول إصلاح

زلة بجريرة كاملة الأطراف .. »

- « لقد انتهى مستقبلي .. وربما كانت المشنقة

هي .....

- « لا أظن .. إن المحامين سيؤكدون أنك كنت

تدافع عن نفسك وعن بيتك ، وتاريخ الفتى لا يترك

شكاً في هذه المقولة .. »

كان ما زال متردداً ، فجذبتة من ذراعه لتبحث عن

أقرب جهاز هاتف ..

\*\*\*

لقد اتهمنا - بشكك حاسم جنري - من مشاكل

( صلاح ) .. فهل هناك مصدر آخر للمشاكل ؟

\*\*\*

## الفصل الخامس : إسهاب شديد .. وأرى أن تنقل

إلى الفصل السادس

لم تطل التعقيدات لحسن الحظ ، فأطلق سراحي أنا  
بضمان وظيفتي ، ولم يطل الأمر بـ ( محمود ) كذلك  
لأن الجريمة استوفت أركان الدفاع عن النفس ..

لكن ما حدث سبب قلقاً هائلاً للجميع ، وبالنسبة  
أفسد ليلة عمر ( نجلاء ) تماماً ، مما يدلك بحق على  
قلة حظها في كل شيء .. قليلات هن الفتيات اللاتي  
يستطعن الفخر بأن جريمة قتل ارتكبت في حق  
زفافهن ..

لقد عادت المياه الهادئة تتدفق تحت الجسور ،  
وبرغم كونى كارهاً للتعنف زاهداً فيه ؛ فقد بدا لى أن  
ما حدث كان هو الحل الوحيد .. إن بتر الذراع  
المصابة بالسرطان لحلّ دموع عفيف ، لكنه يظل  
الحلّ الوحيد حقاً ..

\*\*\*

كان هذا صوت د. ( محمد شاهين ) في الهاتف :

٥٠

- « ( رفعت ) .. لم أسمع صوتك منذ شهرين .. »  
كدت أصارحه بأننى زاهد فى كل ما يجعلنى أرى  
هذه الأسرة ثانية .. اختطاف و قتل ، وصورة المرأة  
التي تلثم ثيابنا ، وشأى ينسكب على الأرائك .. كل  
هذا أقوى منى ..

- « كنت مشغولاً ببعض الأشياء يا ( محمد ) .. »

- « ألن تزور ( نجلاء ) فى دارها ؟ »

- « وهل هذا ضرورى ؟ »

- « هى مريضتك ولينتك .. ثم إن المجامعة .... »  
هنا وجدت أن هذه المهمة ضرورية .. فى الآونة  
الأخيرة بدأت أتحوّل إلى حيوان غير اجتماعى يعشق  
( الأوكسجين ) ويمقت ( ثأتى أكسيد الكربون ) ، ورحت  
أحاول جاهداً ألا أنزلق إلى الدرك الذى رحمت أنزلق  
إليه .. لهذا صرت أرغم نفسى على حضور حفلات  
الزفاف ، وزيارة المرضى ، وأداء واجبات العزاء ..

- « ليكن يا ( محمد ) .. متى وأين ؟ »

- « فى الثامنة مساءً .. نفس البيت .. »

- « أحقاً ؟ هى لم ؟ »

- « إن ( كمال ) مازال يتحسّن طريقه المهينى .. وأيوها  
وألمها بحاجة إلى رعاية .. وأخوها مازال طفلاً .. »

- « ألم تتجب بعد ؟ »

راح يضحك حتى انقطعت أنفاسه ، وقال :

- « رفعت ! أنت لست بهذه السذاجة .. لقد

تزوجا منذ شهرين .. أنت تعلم أن الحمل يستغرق

تسعة أشهر .. »

غلى الدم في عروقي .. هذا الرجل لن يكف عن

السذاجة ، ولن يفهم مزاحي أبداً .. ولديه الشجاعة

كي يخبر طبيباً بحقيقة أن مدة الحمل تسعة أشهر ..

- « ليكن يا (محمد) .. أراك هناك في الثامنة .. »

\*\*\*

قرعنا الجرس ، ففتحت لنا (نجلاء) الباب .. خيل

لي أنها صارت أجمل إلى حد ما ، ثم قررت أن هذا

يعود إلى الإضاءة القلعة من اليسار ، والتي كان

(رمبرانت) يعشقها .. إنها تجعل الأشياء أجمل

دوماً<sup>١٩</sup> ..

(\*) رمبرانت فن رين : فن هولندي عظيم ، هو رقد ما سموه

- (القرن الثامن عشر) في الرسم .. وله لوحة شهيرة جداً هي

(تحارس تليبي) .

كانت الشقة كما هي ، فيما عدا أنهم أعادوا طلاءها

بشكل غير دقيق ، وكان هناك (أنتريه) جديد له

رائحة (دمياط) ، وجهاز تلفزيون صغير موضوع

فوق (بوفيه) ملئ بالخرف ..

إن هي إلا دقيقة حتى برز لنا (كمال) ، وكان قد

تجاوز مرحلة العريس الذي يقابل الضيوف بالروب ،

إلى مرحلة مقابلتهم بمنامته ذات الخطوط الخضراء

الطولية ، ثم جاء الأب مترنخاً منهاكاً ، وجاءت الأم

هائثة بائسة تحمل صحيفة عليها كوبان مليان

بمشروب وردي مخيف ..

تبادلنا التهاني والشكر ، ولم ينبس أحداً بحرف عما

كان ، ولم نذكر ما فات لأنه .. ببساطة .. قد مات ..

فقط وضعت مظروف (النقود) إياه في مكان ظاهر ..

سألت (نجلاء) عن أخبار جديدة مفرحة على

غرار القرى صباحاً ، فأحمر وجهها خجلاً وأغمضت

عينها أن نعم ..

نظرت لها نظرة متسائلة فهمت معناها على الفور ،

فأغمضت عينها من جديد ، هذه المرة بمعنى (لا) ..

لا لم تعان (ناهد) أعراضاً مماثلة في (أسوان) ..

لقد شفيت الأختان تماماً كما هو واضح ..

حملت ( نجلاء ) الصحيفة يكويها الفلارغين ،  
فاتحتى ( كمال ) ليجلس بجوارى ، وریت على ركبتي  
بيده مررداً عبارات من نوع ( آستنا يا دكتور ) ، ثم  
همس وعنى وجهه علامات الجدية :

- « هل يمكن أن انفرد بك فى الشرفة لبضع  
دقائق ؟ »

وهى اللحظة التى أخشاها .. لحظة أن يطلب من  
القاه أن يفرد به ، ثم يبدأ فى وصف مشكلة  
حياته المأساوية : غارت البطن أو الإسهال أو الدوران  
إذا ما نهض من الفراش بسرعة .. ثم لا يقتنع بأى  
اقتراح أقدمه ..

أسلمت أمرى لله وتبعته إلى الشرفة الضيقة ذات  
السور الخفيض ، الذى يهدد بسقوط واحد منا فى أى  
لحظة .. وحاولت جاهداً أن أمنع حزم الثوم المعلقة  
هناك من خدش صلعتى ، وأزحت بقدمى دراجة أطفال  
مكسورة بلا عجلات لا بد أن ( أخناتون ) كان ينبغي  
بها جوار أمه ( تى ) ..

قلت له بعد ما طال الصمت :

- « أهفك على ونى العهد القادم .. »

- « عقبى لك ! »

بدت لى الكلمة عجيبة ، لكنى تجاهلتها ، وعدت  
أسأله :

- « هل أجرت اختباراً للحمل ؟ »

- « لا .. لكن الأمور واضحة ، وعلى كل حال لم

أطلب الانفراد بك لهذا .....

- « إذن ؟ »

ابتلع ريقه باحثاً عن كلمات ثم قال بصعوبة :

- « إن ( نجلاء ) فى حالة غير طبيعية .. أعنى ..

ليست مجنونة جتماً لكن البعض قد يصل لاستنتاجات

غريبة لو رأى ما تقوله وما تفعله أحياناً .. إنها

لا تشعر بشيء ، وفى غاية السعادة .. لكن أحداً لم

يخبرنى من قبل ب .....

نظرت إلى الشارع الذى صيغه المساء بلونه

الأزرق الأنيق ، وقلت :

- « مفهوم .. مفهوم .. وأنت تشعر بأنك خدعت ! »

- « لا .. أنت لا تفهمنى .. »

وتذكرت ما خطر لى من قبل .. أن من لا يعرف  
ولا يفهم الرابطة الشعورية بين الأختين يمكنه - دون  
عسر - أن يتفههما بالجنون .. لكن لماذا لم تصارحه  
( نجلاء ) بالأمر من قبل ؟ »

أجاب على تساؤلى بأسرع مما توقعت :

- « لست أتكلم عن مشاعر ( ناهد ) التى تنتقل  
لأختها .. بل أتحدث عن شبح ( صلاح ) الذى يطاردها  
فى كل صوب ، فهى لا تنفرد بنفسها فى المطبخ  
أو الحمام إلا وتبدأ فى الصراخ .. »

تصلب شعر رأسى المتبقى على الجانبين ، وقد  
أثار كلامه اهتمامى :

- « شبح ( صلاح ) ؟ »

- « نعم .. ذلك الفتى الذى ما انفك يلاحق أختها ..  
إنها تراه فى كل مكان وتقول إنه ينظر لها نظرات  
ثابتة مزعجة .. ثم يتلاشى ما إن يلحق بها أحد .. »  
- « وتقول إن ( نجلاء ) سعيدة برغم هذا ؟! »

- « وهذا هو الغريب .. إنها تصرخ وتولول ثم  
تنسى الأمر برمته بعدها ، وتضحك وتمرح .. كأن  
ما حدث حدث لواحدة أخرى .. »

بالتسبب لى كان الأمر واضحاً .. هذا هو ما يميز

التفاعل الهستيرى الذى يوثق أن يكون مقصوراً  
على النساء<sup>(\*)</sup> .. الهستيريا هى أصلاً هروب من ضغط  
نفسائى شديد لشخصية غير ناضجة ، وقد يصل  
هذا التفاعل إلى أقصى صورته التى تذكرنا بالدكتور  
( جيكل ) والمسر ( هايد ) ، حين تسيطر شخصية  
من شخصيتين يملكهما المريض وتحرك قياده دون أن  
يعرف ذلك .. أما الصورة الأخرى فتأخذ شكل صراع  
هستيرى .. عسى هستيرى .. شلل هستيرى ..

إن الشلل أو العمى عرضان مخيفان يسببان ذعر  
أى مريض حقيقى ، لكن مريض الهستيريا يفاجئنا  
بحالة عجيبة من اللامبالاة .. تصور فتاة فى العشرين  
من عمرها قد أصابها شلل نصفى ، وبرغم هذا تبدو  
مسرورة أو خالية البال .. هذه نقطة من نقاط عديدة  
يلاحظها الطبيب ، وتضيف وزناً إلى عبارته النهائية  
التي يعلنها بثقة : لا يوجد سبب عضوى للشلل ..

(\*) اللفظة هستيريا مشتقة من اللفظة ( رجم ) اللاتينية . وكانوا

- قديماً - يحسبون المرض مقصوراً تماماً على النساء ، واعتقدوا

أن الرجم سببه .. طبعاً لم يعد هذا الكلام دقيقاً ..

هذا الشلل هستيري يحتاج إلى مختص بالأمراض  
النفسية ..

قال لي إن (نجلاء) سعيدة برغم أعراضها  
المخيفة، وهذا يوضح دون شك أنها رؤى هستيرية..  
لم تكن تجربة الاختطاف مريحة بالطبع، ولم يترك  
لها (صلاح) أية ذكري باسعة ..

قلت له وأنا أتراجع عن السور كي لا أسقط :

- « كل هذا متوقع بالتأكيد .. ولن يدهثنني أبداً ..

إن ما عاشته لم يكن بالاضيق أمراً سهلاً .. »

- « إن ترى أن أتأسى الأمر ؟ »

- « بلا شك .. إن الحل الوحيد هو أن تذهب بها

إلى أحد الأطباء النفسيين ، ولدي د. (محمد إبراهيم)

صديقي .. لسوف يطلق على حالة (نجلاء) اسماً

لاتينياً مكوناً من عشرين حرفاً على الأقل ، وهو

مجهود لا بأس به يستحق أجره عليه طبعاً .. »

هز رأسه ، وطقق بلسانه :

- « لا لا .. كنهه إلا هذا ! »

وكان هذا طبيعياً ، فهو من الناس العاديين - رجال

الشارع لو سمحت لي - الذين يضعون الأمراض



قال لي : إن (نجلاء) سعيدة برغم أعراضها الخيفة ، وهذا يوضح

دون شك أنها رؤى هستيرية ..

التسمية كلها في سلة واحدة اسمها (الجنون) ، ومعه  
يغدو شرح الفرق ما بين ( العصاب ) و ( الدهان )  
عسيرا نوعا ..

قلت له وأنا أعود إلى الداخل :

- « ليكن .. يمكنني فهم وجهة نظرك ، وإن كنت  
لا أقبليها .. الحل الأخير في جعبتي هو أن ( تبقى  
الوضع على ما هو عليه ) ، ولننتظر .. »  
وماذا بوسع أي منا أن يفعله سوى أن ينتظر ؟  
فلننتظر .....

\*\*\*

**الفصل السادس :** ترثرة طوبلة ولن اليوم من  
ينقل إلى الفصل السابع ..

وانتظرنا .....

\*\*\*

وكانت هناك أنباء سارة أبلقت بها د. ( محمد  
شاهين ) :

- ل. ( صلاح ) أخ أسوأ منه وأكثر غلظة وشرأ  
يُدعى ( ماهر ) .. وكان في ( فرنسا ) منذ زمن  
منهمكا في جمع العنب وتبخين سجائر الـ ( جولواز ) ،  
حتى طردته الشرطة الفرنسية لأن إقامته انتهت ..  
لقد عاد ( ماهر ) إلى ( شبرا ) ، وعرف أن أخاه  
قد مات .. مات ضربا بعد ما تلقى علقة ساخنة ..  
والحق أنني أفهم لماذا اعتبر الفتى هذه الميعة مهينة  
لأخيه ..

يقول الجيران إنه راح يولول كالهنود الحمر عندما  
يهاجمون معسكر الجنرال ( كاستر ) - وهذا التشبيه  
من عندي طبعاً - وسقط مغشياً عليه ، فأرخوا  
بفركون أصابع قدميه وبتلكون صدره العريض بالبصل  
الذي طوحته إحدى الجارات من الشرفقة ..



ثم إنه أخيراً نهض، وراح يطلق الأناشيد الجنائزية التي تتوعد بالويل ممن صنع هذا بأخيه .. إن دم أخى لن يذهب هباءً .. لسوف يرى هؤلاء الأوغاد وسوف يلبسون - جميعهم - الطرح ..

قلت لـ ( محمد شاهين ) وأنا أبتلع ريقى :

- « أن ننتهى من أسرة ( البلطجية ) هذه أبداً ؟  
تلك المجموعة من الشخصيات ( السايكوباتية ) التي تنسى تماماً وجود القانون ..  
قال وهو يضحك فى مرارة :

- « ( سايكوباتية ) ؟ لو عرف ( ماهر ) هذا أنك أسميته ( سايكوباتى ) لفتح بطنك بمطواته دون مناقشة ، وعلى كل حال أعتقد أنك فى دائرة التهديد على كل حال .. »

قلت بشجاعة حقيقية :

- « هذا سبب كافى لا لزور ( شبرا ) لعدة قرون .. وماذا عن رجال الشرطة؟ ما رأيهم فى هذا؟ »  
- « إن الفتى يكتفى بإطلاق التهديدات ، لكنه لم يفعل شيئاً ، وليس ما فى الضمانات جريمة يحاسب عليها القانون .. عليه أن يفعل أولاً .. »

- « أى يبدأ بتهشيم رأسى ؟ »

- « ربما .. لكنى أخبرتك بهذا كى تكون حذراً ..  
لقد أبلغت ( محمود ) بدوره ، وهو حائق تماماً ..  
لكنه لم يخبر ( ناهد ) بسبب حملها .. »

- « ( ناهد ) حامل !؟ »

- « وفى الشهر الرابع .. عقبى لك ! »

ووضعت سماعة الهاتف حائراً :

- « ( ناهد ) حامل .. لماذا لم يقل أحد هذا قط ؟  
إن يمكن القول إن الفتاتين حاملان فى الفترة ذاتها ،  
وهذا يسبب قدراً من الخلط دون شك .. من هسى  
صاحبة مشاعر الغثيان و ( الوحم ) وما إلى ذلك ؟  
وهنا راحت فكرة عجيبة بعض الشيء تراودنى .. »

\*\*\*

- « هل أجرت اختباراً للحمل ؟ »

- « لا .. لكن الأمور واضحة ، وعلى كل حال  
أنا .....

\*\*\*

ومن جديد طلبت دـ ( محمد شاهين ) فى داره :

- « دـ ( محمد ) .. هل أجرت ( نجلاء ) اختباراً  
للحمل ؟ »

- « لا .. لكن هل يوجد سبب آخر لإصابة عروس  
بالغثيان والقيء صباحاً ؟ »

- « يا لكم من حمقى ! »

ووضعت سماعة الهاتف ، وقررت أن أفعل أى  
شئ فى حياتى سوى التفكير فى هاتين الأختين ،  
وحكاياتهما المعقدة ..

وفى الأيام التالية انهمكت تماماً فى قضية الفتى  
الذى يحرك الأشياء عن بُعد .. أنتم تذكرونها طبعاً ..  
ماذا ؟ لم أحكها بعد ؟ حسن .. ذكرونى بذلك فى  
المرات القادمة ..

أقول إنسى انهمكت تماماً ، وسافرت مرتين إلى  
قريتي على سبيل العودة إلى الجذور ، ثم عدت لأجد  
( محمد شاهين ) ينتظرنى وقد احتقن وجهه بالدين  
كأنه سيصاب بنزف مخي ..

- « النتيجة سالية ! »

- « نتيجة ماذا ؟ »

- « ( نجلاء ) طبعاً .. »

- « ( نجلاء ) من ؟ »

هنا بدأت مخايل السكته القلبية تبدو عليه ،  
وزدادت عيناه جحوظاً :

- « ( نجلاء ) ابنة أختى طبعاً .. ماذا دهاك ؟ »  
تثاءبت، وفتحت أحد الخطابات الملقاة على مكتبى.  
وقلت :

- « هذا شئ أعرفه منذ زمن .. أنتم مجموعة  
حمقى لا أكثر .. ولقد مرت ( نجلاء ) بأعراض الحمل  
كلها قبل أن تتزوج ، لأن ( ناهد ) أختها شعرت بها ،  
وبرغم هذا لم يخطر لأحدكم أن يجرى اختباراً  
لـ ( نجلاء ) الآن .. ( الأمور واضحة ) .. هذا كل  
ما قاله زوجها لى .. إن التاريخ يكرر نفسه لأن  
الحمقى لم يصفوا إليه فى المرة الأولى .. »

شرب كوباً من الماء كعادة الموشكين على  
الموت ، وقال :

- « ليكن .. نحن حمقى .. لكن ما قولك إذا كانت  
( ناهد ) لم تشعر بشئ على الإطلاق ، واكتشفت  
حملها بالصدفة ؟ »

توقفت عن فتح الخطاب ، وتصلبت :

- « ماذا تعنى ؟ »

- « أنت سمعتى جيداً ! »

- « ( ناهد ) لم تعيش أعراض الحمل ؟ »

- « بالتأكيد ! »

هنا أسقط في يدى .. من أين جاءت (نجلاء) بهذه الأعراض الزائفة إذن؟ هناك حالة نفسية يعرفها أطباء النساء جيداً ، حين تنقطع الدورة الشهرية للمرأة ، ويبدأ بطنها فى الانتفاخ ، وتمرداً بأعراض الحمل الهضمية المقيتة ، ثم يتضح أنه لا يوجد حمل .. وأن انتفاخ بطنها هو غازات احتبسست لا شعورياً فى القولون .. ويسمى هذا المرض بـ ( الحمل الكاذب ) أو - طلباً لللطامة - ( سودو سايزيس ) ..

المشكلة أن هذه الحالة تصيب - فقط - النساء العقيمت المتقدمات فى العمر ، واللاى يتحرقن شوقاً للأومة .. فما دور (نجلاء) هنا ؟  
بالطبع لا بد من البحث عن تفسير آخر فى مكان آخر ..

نظرت بغياء إلى ( محمد ) وغمغت :

- « لا أعرف ما أقول .. حقاً لا أعرف ما أقول .. »

\*\*\*

كان الأمر بحق يفوق قدرتى على الفهم ..

ها هى ذى (نجلاء) تمارس ( الكوفيد ) الذى

تحدثت عنه فى الكتيب السابق ، لكنه (كوفيد) حقيقى وليس رمزياً معنوياً كاذباً أعرفه .. الحامل الحقيقية فى أتم صحة وأوفر عافية ، بينما أختها - غير الحامل - لا تكف عن الأئين والغثيان ..

والأغرب هو ما راح يحدث لـ (نجلاء) فى الأيام التالية .. تكررت ظاهرة الآلام التى لا سبب لها ، ومنها ما هو بسيط كآلام الكاحل أو الظهر ، ومنها ما هو عنيف مصحوب بكمات ..

كان تفسير هذا سهلاً فى البداية : ( ناهد ) قد استعادت ربطتها الشعورية بأختها برغم بعد المسافة ، وها هى ذى تمر - حتماً - بأوقات عصيبة ..

لكن هذا التفسير تهاوى سريعاً إثر مكالمة من د. ( محمد شاهين ) لـ ( محمود ) فى ( أسوان ) .. اتضح على الفور أن ( ناهد ) لم تشك من شيء ، وخاصة تلك الإصابة العليقة فى الكتف التى تعوى (نجلاء) ألماً بسببها ..

ما معنى هذا ؟ هل جئت (نجلاء) ؟

كان يوسعى أن أقول هذا ، وأن أتهمها بالكذب أو الجنون ، لو لم أر موضع الإصابة بعينى : كدبة



كان يوسعى أن أقول هذا ، وأن أتهدمها بالكذب أو الجنون ، لو لم  
أر موضع الإصابة يعنى : كلمة زرقاء هائلة مخيفة الشكل ..

زرقاء هائلة مخيفة الشكل ، وفي موضع عسير حقاً  
أن تحدثه هي بنفسها .. إن الجروح التي يحدثها  
المرء في جسده تكون دوماً في متناول يديه ..

ثمة احتمال لا يأمن به أن تكون ( نجلاء ) قد  
ضربت بكتفها جسماً بارزاً - كمقبض الباب مثلاً -  
متعمدة إحداهن هذه الكدمة ، لكنى لا أجد في هذه  
الفتاة الهشة قوة كهذه .. إن للجسم البشري حدوده ،  
حتى لو كانت تسكنه روح مجنونة ..

- « ( نجلاء ) .. هل أنت متأكدة من أن هذه  
الإصابة لم تحدث ، ثم نسيت أنت سببها ؟ »  
- « ياله من سؤال ! هل يمكن لى أن أنسى إصابة  
كهذه ؟ »

- « هل يوجد نزف من أنفك أو نثنت ؟ »  
- « لا .. »

فقط في أمراض الدم النزفية - وسرطان الدم طبعاً -  
يمكن أن يجد المرء في جسده كدمات كبيرة كهذه  
بلا تفسير .. لكن - في تلك الحالات - لا يصاحب  
الكدمة ألم كالذى تشعر به ..

وعلى كل حال ، قمت باستبعاد هذا الاحتمال

بغاية .. إن وظائف تجلط الدم وتختثره الخاصة بها على ما يُرام ..

وجاء حل المشكلة سريعاً ، ولكن بعد ما يسنا من إيجاد تفسير .. جاء في خطاب من ( محمود ) أرسله من (أسوان) .. كان يحكى عن شمس (أسوان) الدافئة والسذ العالى .. إلخ .. إلخ .. ثم حكى لنا - أعنى لأقارب ( ناهد ) - عن الحادث الرهيب الذى كاد يفتك بـ ( ناهد ) لولا أن سلم الله ..

لقد كانت تعبر الشارع شاردة الذهن ، حين اصطدم بها ( حنطور ) مُسرِع ، فسقطت أرضاً واصطدمت سنابك الخيل بكتفها .. والغريب أن شيئاً لم يحدث ، وأن الإصابة لم تحدث بها ألماً من أى نوع .. يقول ( محمود ) :

- « ظننت فى الفرائش أسبوعاً كاملاً تحت تأثير الرعب لا الألم ، ولم أخبركم بشيء حتى لا تطير أنفسكم شعاعاً .. الآن فقط يمكننى أن أحكى لكم بعد ما انتهى الموضوع ، وتأكدت من عدم وجود ضرر ، وتأكدت من سلامة الحمل .. »

« وللمصادفة - القلوب عند بعضها - اتصل بي

د. ( محمد شاهين ) خال ( ناهد ) ليقول لى إن كتف ( نجلاء ) يتألم .. هذه المرة أنا واثق من أن موضوع الشعور المشترك بين الأختين انتهى ، وأن سفرنا إلى (أسوان) كان هو العلاج الناجع للمشكلة .. لهذا لا أجد تفسيراً سوى أن ( القلوب عند بعضها ) .. حمداً لله .. ولتكم هذه المحبة بيننا ! «

« كيف حالك يا حماتى ؟ لقد بحثت فى ( أسوان ) كلها لك عن ..... »

انتهى الخطاب ، وما بقى هو هراء معروف ..  
ما معنى هذا ؟

تبادلت النظرات مع د. ( محمد شاهين ) والخطاب فى يدي ..  
ما معنى هذا ؟

سؤال مهم ، لكن إجابته غريبة .. بل أقرب إلى السخف ..

أخيراً قالها د. ( محمد ) ، وهو يأخذ الخطاب من يدي كى لا أطلع أسراراً عائلية ليست من حقى ( ويعلم الله أننى لا أهتم بها أصلاً ) .

- « هل كنت رأياً ؟ »

قلت وأنا أتحاشى نظراته المذهولة :

- « يمكن تلخيص الموقف في عدة نقاط :

١ - ( نجلاء ) تشعر بأشياء لم تحدث لها .

٢ - ( ناهد ) ليست هي صاحبة هذه المشاعر .

٣ - ( نجلاء ) شعرت بالحمل بينما ( ناهد )

لم تشعر به .. وفي النهاية ( ناهد ) هي الحامل

لا ( نجلاء ) .

٤ - ( ناهد ) أصيبت في حادث ، ولم تشعر حتى

بالم ، بينما ( نجلاء ) هنا تتألم بعنف وقسوة .. »

ثم عقدت آمالي تحت ذقني لأبدو خطراً ، وقلت :

- « أعتقد أن الظاهرة تتخذ منحى جديداً .. »

- « ماذا تعني ؟ »

- « أعني أن ( نجلاء ) لم تعد تشعر بما تشعر به

( ناهد ) فحسب .. بل وتشعر الآن بما لم تشعر به

( ناهد ) كذلك .. وبعبارة أدق : لقد صارت ( نجلاء )

هي التي تتألم وتعاني بدلاً من شقيقتها ! »

\*\*\*

## الفصل السابع : لا جديد فيه .. ويمكن أن ننتقل

للفصل الثامن ..

- « هذا ما كنت أتوقعه ! »

كذا صاحت ( نجلاء ) في جنون حين أخبرتها

بالاستنتاج الغريب ..

- « ( نجلاء ) .. إن ما يُقال بالصراخ يمكن أن

يُقال بصوت خفيض .. »

هذه المرة كانت الدموع في عينيها .. دموع

الغيظ .. دموع من ظلم ظلماً بيناً :

- « هذا ما كنت أتوقعه ! إن ( ناهد ) مخلوقة

أنتابية كريمة ، وقد ظلمت طيلة حياتها تجلب لى

المشاكل ، وتفوز بكل شيء .. اليوم هي قد وصلت

إلى الوضع الأمثل لها : أنا أتألم بدلاً منها ! »

تذكرت قصة ( الأمير والصعلوك ) حين كان للأمير

وصيف مهمته أن يجلد بدلاً منه ؛ كلما ارتكب الأمير

خطأ يستحق الجلد عليه من أبيه أو معلمه .. هذا

الوضع شبيهه بحالتنا إلى حد كبير ..

قلت لها :

« ليس للأنتية دور في الموضوع .. وهي لم  
تختر هذا الوضع .. لقد اختارت الطبيعة وضعا متميزا  
لإحدى التوعمين ، وحتى في التوائم السيامية يحدث  
أن يحتكر أحد التوعمين النمو كله ، بينما يتضاعف  
التوعم الآخر ، ليتحول إلى مجرد ثالولة أو ورم في  
جسد أخيه .. »

« والحل ؟ »

سألتني في يأس ، فقلت لها بعد تفكير :

« إن الوضع لم يصل للاستقرار بعد .. ما زالت  
حالتكما المريية هذه في طور التحولات .. وعلينا أن  
نتنظر .. »

« نتنظر ؟ كل ما نفعه أن نتنظر .. »

« ( نجلاء ) .. لو كان قرص الدواء الذي ينهي  
حالتك في جيبي ، فلا يوجد أي سبب يمنعني من  
إعطائك إياه حالا .. »

\*\*\*

على أنني في تلك الليلة قررت أن الأوان قد حان  
لأستعين بمن هم أقدر مني وأكثر علما ..

كنت أعرف أن د . ( إيجور تاركوفسكي ) صديقا  
القديم - هل تذكرونه وتذكرون ثلاثية قارني الأفكار  
إياها ؟ قد ترك ( مركز بحوث المخ ) في ( مانهاتن ) ،  
وانتقل مع أسرته إلى ( ساوث كارولينا ) ليعمل  
تحت إشراف واحد من أهم وأعظم علماء ما وراء  
الطبيعة في عصرنا ، ألا وهو عالم النفس الأمريكي  
( جوزيف بانكس راين )<sup>(\*)</sup> ..

جلست وكتبت خطابا لـ ( إيجور ) أحكى فيه قصة  
الأختين العجيبة ، وطلبت رأيه ، فإن لم يكن لديه رأي  
فليسأل أستاذه العظيم ..

وبعد أيام جاعني المغلف الأنيق الذي ألصقت عليه  
طوابع تمثل الأنسة ( حرية ) التي تحرس المدخل إلى  
( الولايات ) ..

كان الخطاب من ( إيجور تاركوفسكي ) ، ويقول  
فيه :

(\*) شخصية حقيقية .. والتاريخ كذلك .

جامعة (دوك)

معمل الباراسيكولوجي

عزيزي د. إسماعيل

تلقيت - بمزيد من شغف - خطابك ، وسررتي أن صاحب الصولات والجولات في عالم ما وراء الطبيعة يطلب رأيي .

في البداية أحب أن أصحح خطأ بسيطاً : أنا لا أعمل مع البروفسور (راين) بل أعمل على الأتس التي وضعتها ، قبل أن يستقيل من جامعة (دوك) ليعمل في مشروعه الخاص الذي سماه (مؤسسة بحوث طبيعة الإنسان) ، وكان هذا عام ١٩٦٥ أي قبل مجيئي بدهر ..

إن معمل الباراسيكولوجي هنا تم إنشاؤه عام ١٩٣٠ ، وهو معمل محترم يحاول تطبيق الأساليب العلمية الصارمة على ظواهر النفس ، ونحن نستعين بالكثير من الإحصاء وقوانين الاحتمالات وميكانيكا الكم كي نفسر أشياء لا نعرف عنها سوى أقل القليل ..  
يسهل على المرء أن يفقد يقينه بجدوى ما تفعله ..  
يسهل أن نعتبرنا مجموعة من الحمقى ضلوا السبيل ..  
لكنني سأكون آخر من يقطع .. لقد كنت أنا نفسي

ظاهرة غريبة من تلك الظواهر يوماً ما ، وإنسي لمستعد لتصديق أي شيء يقال في هذا الصدد ..

لقد قابلنا كثيراً جداً من ظواهر التطابق الشعوري بين النوعم ولا أجد غرابة في هذا ..

الغريب حقاً هو ظاهرة (إزاحة الشعور) هذه ، فهي جديدة لم أسمع عنها قط ، والأمر فيما أراه جدير بدراسة مدققة ..

إذن أمامك حلان :

الأول : هو أن ترسل النوعميين إلى (الولايات المتحدة) ، وسوف تقوم (رابطة الباراسيكولوجي) الأمريكية بتمويل نفقات سفرهما .

الثاني : هو أن تنتظر ثلاثة أشهر ، لأنني في طريقي إلى (كوريا) لحضور مؤتمر علمي مهم ، ويمكن أن أتوقف يومين في (القاهرة) .  
أبرق لي بريدك أو اكتبه في خطاب .

بإخلاص

د. ا. تاركوفسكي

\*\*\*



كان جوابي هو أنني أفضل الانتظار ، لأنه من  
المستحيل طبعاً أن أطلب من الفتاتين السفر إلى  
( الولايات المتحدة ) لتكونا فأرى تجارب في معامل  
جامعة ( دوك ) ، حتى لو كانت هذه سياحة مجالية ..

\* \* \*

طلب مني ( مختار ) - صديقي المحامي - أن أقرأ عليه  
في المكتب بشأن مهم ، وعرفت على الفور أن هذا  
بخصوص ( تجلاء ) التي صرت أنا وكيل أعمالها كما يبدو ..  
توجهت إلى مكتبه في التاسعة مساءً كما طلب ، ولم  
يكن هناك في قاعة الانتظار سوى ابن بلد فظ يوحى  
بأنه جزار ضرب زوجته بالشاطور .. وجاء ( كمال )  
من غرفة الأستاذ ، فما إن رأيته حتى تهلل وصافحني  
بحرارة ، ثم جلس جوارى تعبيراً عن الود . فسألته :

- « كيف الأحوال عندك ؟ »

- « على أسوأ حال .. وأنت ؟ »

- « سيئ كالعادة .. كيف حال الروي ؟ »

- « مستمرة .. والألام لا تتوقف .. »

- « وأين هي الآن ؟ »

- « إنها تعود للدار في الرابعة عصراً ، وأصارك

أنتى لم أعد متحمساً لعملها .. ربما كان البيت خيراً  
لها .. »

- « لكن العمل يبقيها بعيداً عن ذاتها وعن  
ذكرياتها .. »

هنا انفتح الباب وبرز ( مختار ) ليرحب بي بصوته  
الجهورى ، ويدعوني إلى الشؤل ..

- « أنا هنا يا أستاذ منذ ساعة ثم .. »

قالتها الزبون اللفظ محتجاً ، وهو يرمقني شذراً ،  
وأدركت أنه على وشك فتح بطني أنا في أية لحظة ..

- « أصير يا معلم .. أريد أن أكون رائق البال حين  
نناقش قضيتك »

وشدتي من ذراعي ، فأطلق الزبون نفخة هواء  
كادت تطيرني ..

وانغلق الباب دوننا ، فسألته ( مختار ) :

- « إنك تتعامل مع عينات بشرية غريبة .. هذا  
الرجل مذنب - لا أدري بأى شيء حقاً - ويمكن لأى

قاض أن يتبين هذا .. »

ضحك وهو يجلس وراء مكتبه ، وقد طوح برأسه  
للخلف وفكه للأمام :

- « ليس الأمر كما تظن .. إنه جاء ليرقع قضية على من اعتدى عليه بالضرب ! والآن دعنا فيما أردت أن أحدثك فيه ، تلك الفتاة ( نجلاء ) .. هل هي ؟ »  
وحرك أنامل يده المفتوحة جوار جبهته بإيماءة معروفة معناها الجنون ، فقلت في كياسة :

- « لا .. ما كنت لـ .. . . . »

- « قل الحقيقة يا ( رفعت ) ! »

- « ليست مجنونة .. لنقل إنها مصابة بـ ( الغصاب )

وليس ( الذهان ) .. »

- « حلاوتك ! » - وضرب المكتب بقبضته - ( غصاب )

و ( ذهان ) ! حقاً يا ثمة من فارق كبير ! بالتسبة لي

يا ( رفعت ) أنا لا أفهم إلا ما أراه .. فتاة لا تكف عن

الصراخ دون سبب .. أتركها وحدها دقيقة ولنسوف

تجنّ هلعاً .. لا تتركها وحدها تجدها تصرخ ألماً دون

أن يمسه أحد .. كل هذا كثير .. كل هذا لا يليق

بمكتب محاماة محترم .. »

ثم ابتلع ريقه ، وبصوت أكثر هدوءاً قال :

- « أنا لا أريدها عندي .. لكني لن أتخذ أية خطوة

ما لم أتأكد من أنك موافق .. فلن أنسى ما قدمت لي

من خدمات .. »

قلت لنفسى : لا بأس .. الزوج كان بنوى هذا على كل حال ..

ونه قلت :

- « ليكون .. أنت أترى بمصلحة هذا المكتب ..

افعل الصواب .. »

هنا افتتح الباب ليثب ( كمال ) إلى الداخل مذعوراً ،

وقبل أن أفهم كان قد تشبث بربطة عنقي ليقول في

هستيرياً :

- « لقد .. لقد .. ( نجلاء ) ! تعال حالاً يا دكتور ! »

في برود قال ( مختار ) وهو يسترخى في مقعده :

- « كما ترى ! الأمور المعقدة هنا .. اذهب معه

ولسوف أتصل بك .. »

واتطلقتا خارج المكتب ، وفي المصعد قال لي

لاهئاً : إن الجيران اتصلوا به ليبلغوه أن ( نجلاء )

ابتلعت أقراص الإسبرين لتنتحر ..

يا للحمقاء !

\*\*\*

وجدتها بكثير من العسر وسط منات الجيران

وأطقالهم الذين احتشدوا في غرفة النوم ، حتى

لقد رأيت كثيراً من حالات الانتحار ، وأكثرها كان  
لهوياً لا أكثر من شخصيات مضطربة .. عندها كنت  
أرى المنتحر يركض ركضاً - حتى ليسبق كل من  
حوله - جاريًا إليك ، وهو يوتول في دعر :

لقد انتحرت ! لقد انتحرت !

وباستجوابه يتضح أنه ابتلع قرصين من الإسبرين  
في حين نعالج بعض مرضى الحمى الروماتيزمية بستة  
عشر قرصاً يومياً من الإسبرين !

لكن ( نجلاء ) لم تكن ( تهوش ) .. هي فقط  
تجهل علم السموم ، ولحسن الحظ أنها لم تجرب  
إحدى الطرق المصرية المحببة ؛ على غرار إشعال  
النار في النفس بموقد ( الكيروسين ) ، أو قطع  
شرايين المعصم ، أو شرب زجاجة ( بوليس النجدة ) ..  
قمت للأم وأنا أنهض :

- « لا تقلقي .. إن عشرة أقراص لا تؤدي بعوضه ،  
وفي الغالب هي قد تقيأت الكمية كلها .. سأكتب لها  
دواء للمعدة يمنع ما ابتلغته من تمزيق غشائها  
المخاطي .. »

تذكرت أتوبيس ( ٣٠٥ ) الذي كان يمر في هذه اللحظة  
قرب دارها ، وتوقعت أن يمر المحصل بتذكره  
أو أن أسمع من يقول : ( العربية فاضية قدام  
يا حضرات ) ..

كانت نائمة أو فاقدة الوعي ، وجوارها ما يسميه  
الطب الشرعي بـ ( الدليل العرضي ) ، وهو - هنا - عدة  
أوراق خضراء كانت تحوي الإسبرين الذي ابتلغته ..  
وأطلقت الأم صرخة حارة مونولة مستغيثة ملتاعة  
مقهورة :

- « يا حبيبتي يا بنتي ي ي ي ي ي ي ! »

كان هناك كوب من الماء بقي بعض الملح في قاعه  
مما جعلني أعرف أنها تقيأت بالفعل ، وتحسست  
نبضها .. كل شيء على ما يرام ..

رفعت صوتي كي يسمعي أحد خلق الله :

- « هل ابتلعت الأقراص هنا ؟ »

ضربت الأم بكفها على صدرها :

- « نعم .. نعم نعم نعم ! »

أسسكت بالأوراق الخضراء ، وعددت الثقوب ..  
عشرة ثقوب لا أكثر .. إن هؤلاء المنتحرين يعاتون  
جهلاً مطبقاً بعلم السموم ..

## الفصل الثامن : أحداث متوعدة . ولو كنت مكانك

لانتقلت للناس

كنت أذكره بأنه لم يطلقها ثلاثاً ، وبهذا ما زالت  
لديه فرصة لإرجاعها لعصمته .. ثم قررت أن الصمت  
قد يكون أفضل ..

\*\*\*

لن أصف المشهد المينودرامى العنيف الذى تلا  
هذا .. إن هذه الأمور تحطم الأعصاب على كل حال ..  
لن أتومه - وكيف أتومه ؟ - ولكنى أتومها .. لقد  
بلغ بها الألم ذروته ولم تجد إلا حلاً واحداً .. والحل  
كان غير مرضٍ لأى طرف .....

وهكذا غادرت المنزل ، وقد قررت أن تروى الفتى  
عند (مختار) عى أحاول إصلاح الأمور .. إن (نجلاء)  
حمقاء مزعجة لكننى أحبها كابنة لى، وما زلت أجدها  
تستحق ما هو أفضل ..

أين أنت يا (إيجور) ؟

\*\*\*



قال دون أن ينتظر لأى شيء .. لا لى ولا لها ولا للأرض  
ولا للسقف : « حسن .. هى طالق منذ هذه اللحظة ! » ..

وفي صلاة الاستقبال بالمطار وقتت - وقد جاء  
المبعث - حاملاً لافتة كبيرة كتب عليها بحروف لاتينية  
( دكتور إيجور تاركوفسكى ) ، فبدأ مظهرى كأحد  
مندوبى شركات السياحة ينتظر فوجاً من (تيام نيام) ..  
الغريب هنا أننى لم أر ( إيجور ) قط ، ولا أعرف  
كيف يبدو ..

فقط على أن أبحث عن شخص له سمات ( شرق  
أوروبا ) ، وله أنف عملاق عجيب .. هكذا وصف  
نفسه ..

كان الزحام شديداً ، ورحت أبحث بين الخارجين  
من اللوابة عن أى وجه يصلح .. تلك المرأة .. لا ؟  
هذا الطفل ؟ صعب .. هذا الكهل ؟ لا ..

ثم رأيته أخيراً .. من العسير أن تخطئه العين  
حقاً .. أكبر أنف يمكن أن تراه فى نصف الكرة  
الشمالية بعد المرحوم ( سيراتو دى برجيراك ) ..  
أنف يذكر ببيتى ( ابن الرومى ) العبقريين :

حملت أنفاً يراه الناس كلهم

من ألف ميل عياناً لا بمقياس

إن شئت كسباً به ما دفت مكتسباً

أو انتخاراً مضى كالسيف والفاص

أى إنه أنف صالح لكسب الرزق ، وصالح للحرب  
كذلك ! فيما عدا هذا كان وجهه مليحاً قسيماً ينكونى  
على القور بوجود أهل ( روماتيا ) أو ( بلغاريا ) أو ..  
لمح اللافتة أخيراً ، فدنا منى ، ولا بد أنه كان يردد  
فى ذهنه أبياتاً من الشعر البولندى تصف صنعتى  
ونحوى الشديد ..

بالجزيرة متأركة لا أثر للكنة أجنبية فيها، سألنى:

- « د . ( إسماعيل ) .. أليس كذلك ؟ »

- « د . ( تاركوفسكى ) .. أليس كذلك ؟ »

- « طانما تصورتك فى شكل مختلف قليلاً .. »

- « لحسن الحظ أنك لست فتاة، وإلا ماتت رغياً .. »

نظر حوله .. ثم سألنى بطريقة عملية جداً :

- « أين الموضوعان ؟ »

وهى طريقة يوحى بها بالتجرّد العلمى ، فقلت له  
باسماً :

- « ليس بهذه السرعة .. إن الحماس شىء جميل

أفترق أنا له ، لكن ليس إلى هذا الحد .. يجب أن

تستريح أولاً .. »

- « المشكلة هى أن وقتى ضيق ، وعلى أن أظير

إلى ( كوريا ) غداً .. »

« إن نذهب لفندقك ، وسوف أعود لأصطحبك  
في السادسة مساءً .. »

\*\*\*

رَبِّتِ الْفَقَاءَ فِي مَكْتَبِي بِالْجَامِعَةِ .....

يجب أن أقول هنا: إنني كنت قد اتصلت بـ (محمود)  
في (أسوان) طالباً حضور (ناهد) على وجه  
السرعة ، لأن خبيراً أمريكياً (في هذه الأشياء) قائم  
بعد أسبوع ..

إن أمانة الإسمان ولا مبالاة تثيران حنفي دوماً ..  
لقد تعلمت ألا تدهش لشيء ، وتعلمت أننا جميعاً  
حنفة من الأوغاد لن ينقذهم من عذاب جهنم إلا رحمة  
ربى ..

لكن ليس إلى هذا الحد !

لقد قال لي (محمود) في برود :

« هل تعلم كم يرهقنا السفر إلى (القاهرة) »

مادياً ومعنوياً ؟! »

« هذا الرجل قد يملك التحل لمشكلة الأختين ..

إنه تلميذ (راين) شخصياً .. تصوروا هذا ! تلميذ

(جوزيف بانكس راين) ! »

« حتى لو كان تلميذ (ابن سينا) شخصياً ،  
فهذا لن يجعل الانتقال أكثر سهولة .. »

كنت أعرف نقطة الاختلاف الأساسية هنا ، والتي  
يحاول ألا يفصح عنها لي : لقد صارت (ناهد) على  
ما يرام بل هي وجدت من يتألم ويتعذب بدلاً منها ..  
إن ما دورهما في المشكلة ؟ لقد انتهت متاعبه  
ومات (صلاح) ، وكففت (ناهد) عن العذاب ..  
لماذا ينبغي أن يعطل أعماله ويحضر زوجته لتصير  
فأر تجازب عالم أمريكي من تلاميذ (راين) ؟

غلى الدم في عروقي .. أنا أمقت هذه الفلسفة  
التفعية مقتى لجهنم ، ولهذا قلت له ضاغطاً على  
كلماتي :

« (محمود) .. أنا لا أمزح .. إن (نجلاء) في

حجيم مقيم ، بل حاولت الانتحار مرة ، وسوف تتجح  
حتمًا في المرة الثانية ، وشفاؤها يحتاج إلى أن  
تتفضل وحرمتك بالحضور إلى (القاهرة) .. »

« إن لمأذا لا تحضر عالمك هذا و (نجلاء)

إلى (أسوان) ؟ إنها فرصة للسياحة .. »

« وددت هذا ، لكن وقت الرجل لن يسمح بهذا

الترف .. »

- « ولكن ... »

قلت له من جديد بوقاحة وتحداً :

- « (محمود) إن لم تأت سيكون لى تصرف آخر! »

- « هل هذا هو التهديد ؟ »

- « هو بعينه .. »

- « وماذا ستفعل أيها القوى ؟ »

- « لن أقول لك كى لا تتخذ احتياطاتك .. أنا

بانتظار حضوركما ! »

ووضعت السماعة فى حزم :

لم أكن أمزح أو أدعى القوة .. لدى بالفعل ورقة

قوية للضغط على ( محمود ) ، لكنى لم أكن لأستعملها

أيذا : ( ماهر ) ! إن ( محمود ) مستعد لعمل أى شىء

كى لا يذهب الطبيب الأصلح للقاء ( ماهر ) ويخيره

بعنوان (محمود) ورقم هاتفه .. ( محمود ) الذى هو

قاتل أخيه .. وبرغم أن هذا حل يطير رأسى بدوره ..

\*\*\*

لكننى - ولله الحمد - لم أضطر إلى هذا الاختبار ،

الذى يضع فى الميزان مصداقية تهديداتى ..

سرعان ما ظهر ( محمود ) وحرمه - التى نلت

من الولادة .. وطفلها ..

ثلاثة وجوه أحرقتها شمس ( أسوان ) يبدو عليها

بعض التذمر مع القلق .. إن ( محمود ) لم يعد يحب

العودة إلى ( شبرا ) ، خاصة يعد ما عرف أن شبح

( صلاح ) يتعقبه فى صورة ( ماهر ) هذا ..

وفى السادسة مساءً .. دخلت مكتبى مع ( إيجور

تاركوفسكى ) ، وبعد دقائق جاء الطبيب المقيم -

الذى أصابه الذعر لظهورى فى ساعة كهذه - ومعه

تويمان وزوج .. ( ناهد ) .. ( نجلاء ) .. ( محمود ) ..

قمت بإجراء التعارف اللازم ، ثم طلب منى ( إيجور )

أن أخفى ( ناهد ) بعيداً عن أختها .. وقال لى :

- « للأسف لا أجد إمكانيات معاملنا ، كالدائرة

تلفزيونية المغلقة وجهاز قياس الطاقة النفسية ، لكنى

سأحاول التصرف فى حدود الإمكانيات .. هل معك

ساعة ؟ حسن .. سأعطيك ورقة بالمؤثرات المؤلمة

التي ستحدثها لدى ( ناهد ) - أليس هذا اسمها ؟

وعليك أن تحدد الوقت بدقة بالغة لكل مؤثر .. حسن ؟ »

- « موافق .. »

واصطحبت ( ناهد ) المتشككة إلى العنبر بعيداً عن  
سمع ونظر أختها ..

ثم بدأت أعرض ذراعها لمؤثرات متباينة من وخز  
الإبر إلى الحرارة إلى اللمس إلى الاهتزاز ، وفي كل  
مرة كنت أدون الوقت ..

طال الفحص لمدة نصف ساعة .. ثم طلبت منها  
أن تعود معي ..

سألتني في ضيق وهي تنزل كم ثوبها :

- « ماذا يريد ذلك المخفل ؟ »

- « يريد معرفة الحقيقة .. »

- « ماذا يقول بالإنجليزية ؟ أنا أكره أن يتكلم

الناس عنى بما لا أفهمه .. »

تهدت في صبر ، ولم أعلق .. فقط تقدمتها إلى  
حجرتي ..

كان ( إيجور ) جالساً إلى المكتب يدون آخر  
ملاحظاته ، ثم مَدَّ يده ليتناول ما كتبت أنا ..

قارن الأرملة بطرف قلعه ، ثم هز رأسه :

- « تطابق شعوري تام .. لا شك في هذا .. »

ثم قال وهو يناولني ورقة أخرى :

- « الآن نعمل الشيء ذاته بالعكس .. »

ومن جديد اصطحبت ( نجلاء ) المكتتة الصموت  
إلى العنبر ، وكسرت ما فعلته مع أختها .. وكالعادة  
سألتني :

- « هذا ( الخواجة ) .. هل هو مجنون قليلاً ؟ »

- « ربما .. لكنه عبقري كذلك .. »

- « وهل يملك شفاتي ؟ »

- « لا أدري .. لكنه يملك أن يحاول .. »

وعدنا إلى حجرتي ، وفي هذه المرة ابتم ( إيجور )  
ومدَّ يده ينوح بملاحظاته لي .. كانت ورقته بيضاء  
من غير سوء ..

إن ( ناهد ) لم تشعر بشيء على الإطلاق مما  
أصاب ( نجلاء ) ..  
قلت له وأنا أجلس :

- « لا جديد في هذا .. كلنا يعرف هذا .. فقط

تأكدت أنت من أنني لا أخرف أو أتلاعب بك .. »

قال وهو يرمق الفتاتين في ابهار :

- « إن هذا لكفر حقيقي .. ولعلها المرة الأولى

التي توصف فيها ظاهرة مماثلة .. وإتني نفى حاجة



إلى إجراء رسم للمخ في أثناء حدوث هذه الظواهر ..  
أحتاج أيضاً إلى إجراء اختبار بالبطاقات لقياس  
الإمراك فائق الحن لدى ( نجله ) هذه .. »

كانت ( نجله ) ممتعة بالإنجليزية إلى حد ما ،  
فاستطاعت التقاط كلمات مثل ( حقيقي - المرة الأولى  
- نجله ) لكنها لم تقدر على وضع هذا كله في  
عبارات ذات معنى ..

أما ( محمود ) - وقد زدادت عيناه حولاً - فقد  
فهم أكثر المحادثة ، وبدأ لي متوتراً بحق ..  
قلت لـ ( إيجور ) :

- « يمكنني ترتيب رسم المخ غداً مع وحدة  
الأمراض العصبية .. هل تحتاج لشيء آخر ؟ »  
- « نعم .. أريد مجالاً للأشعة تحت الحمراء .. »  
ضغطت على أسناني ، وأنا أتصور هذا السيرك  
الذي أنا مطالب بإعداده غداً .. يمكن الفراض الجهاز  
بشيء من الفسر من وحدة الأطفال المبتسرين ، فهم  
لا يستقنون عنه في حالات صفراء حديثي الولادة ..  
لكن الأمر شبه مستحيل في ( مصر ) حيث تصطدم

بمئات العقبات : عُهدة .. لا يمكن نقله .. ماذا تريد  
عمله بالضبط ؟ لا بد من تصريح من العميد .. لا بد  
من موافقة الأمن .. الخ .  
لكنني قد عازمت على أن أفعل ما يريد ( إيجور ) ..

\* \* \*

## الفصل التاسع : عمل جداً .. وعليك بالفرار

إلى العاشر

في العاشرة صباحاً انتهيت من أكثر الترتيبات ..  
كان همى الأكبر هو الفضوليون .. فلا أريد أن  
ألصق بسمعتى - كطلرد أشباح مخبول - تهمة إجراء  
تجارب غامضة لا تستند إلى أساس علمي ..  
وما أكثر الفضوليين ! كأنما هو أمر خارق للطبيعة  
أن ترى فتاتين توعمين وطبيباً أصلع وطبيباً أمريكياً  
كبير الأنف ، يحمل أحدهم جهازاً للأشعة تحت  
الحمراء وبطاقات ورسام مخ .. وكل هذا متجه إلى  
مكتبي الذى أحكمنا غلقه ..

قام (إيجور) أولاً بإجلاس (تجلاء) أمامه .. ثم راح  
يخرج لها أوراقاً عشوائية من مجموعة أوراق لعب  
خاصة به .. كانت الأوراق تحمل رسوماً معينة سهلة  
كالنجمة والدائرة والصاعقة .. إلخ .. وكان على  
(تجلاء) أن تخمن الرسم الموجود على ورقة اللعب ،  
دون أن تراها ، وتقوله لأترجمه لـ (إيجور) ..

كانت هذه التجربة من تجارب (راين) الشهيرة ..  
إن عدد بطاقات اللعب اثنان وعشرون ، فلو  
استطاعت (تجلاء) أن تصل للتخمين الصحيح فى  
خمس منها لكان معنى هذا امتلاكها للإدراك الفائق  
للواس E.S.P. ..

والمشكلة فى هذه التجارب أن قابليتها للتكرار  
محدودة جداً ؛ وهذا يؤدى إلى ارتفاع فى نسبة  
(الاحتمالية) التى يرمز لها الإحصائيون بـ (P) ..  
إن التجارب التى ترتفع فيها نسبة (الاحتمالية) هى  
تجارب يمكن تفسير نتائجها بالصدفة المحضة ..  
تجارب لا يمكن تكرارها بنفس النتائج .. تجارب  
يتعذر النظر إليها بمنظار علمي لأن الحقيقة العلمية  
(يجب) أن تكون قابلة للتكرار ..

أفقت من خواطرى على صوت (إيجور) يقول  
باتتصار :

« سبع ! »

سبع من اثنين وعشرين محاولة .. لا بأس على  
الإطلاق ..

قلت له :

- « لكن الرقم سينخفض لو كررت المحاولة بالتأكيد .. »

ضحك طويلاً ، وقال :

- « إنها المحاولة الثالثة يا صديقي .. والنتائج هي ست .. تسع .. سبع .. برغم أنك تترجم لي ما تقوله الفتاة أجندك شارد الذهن تماماً .. »  
ووضع الأوراق في علبة أنيقة ووسّنها في جيبه ، وأردف :

- « إن الفتاة تملك إدراكاً فائقاً للحس .. هذا ما استوثقتنا منه ، ونيس لقانون الصدفة دور هنا .. »  
- « وماذا يجدينا هذا ؟ »  
- « ستري حين أنتهي .. »

وأمرني بأن أبدأ بإفلام الغرفة وإسدال الستائر ، وفي الظلام شبه الدامس جعلت ( ناهد ) ترقد على سرير الفحص الصغير وتغمض عينيها ، بينما ( نجلاء ) تجلس وراء مكتبي ..

ثم قام ( إيجور ) بتسليط كشاف الأشعة تحت الحمراء على ( ناهد ) ، بعد ما قام بربط أقطاب رسام الملح الكهربي إلى رأسها ..

سيرك ! هذا هو ما تحول إليه مكتبي .. لو أن عميد الكلية مر الآن وفكر في أن يفتح الباب .....

- « الآن أبدأ المؤثرات المؤلمة .. »

وهكذا وقفت جوار سرير الفحص ، ورحت - لقد صار هذا مملاً - أغرس دبوساً في ساقى الفتاة وذراعها ، ثم أعرضها لمؤثرات حرارية ( هي دبوس قمت بتسخينه بقداحتي ) ، ثم أضغط على عظامها .. من خلف المكتب كنت أسمع صوت الـ ( آي ) والـ ( أود ) الخاص بـ ( نجلاء ) ، واقشعر جسدي .. غريب جداً .. أن تؤدي جسداً فيأوه جسد آخر من شدة الألم ..

كان ( إيجور ) يراقب رسام الملح الكهربي في أثناء عمله ..

وفجأة صاح وهو يخرج آلة تصوير من حقيبته :  
- « ( رفعت ) : هل تراه ؟ ! »

\*\*\*

إبه يأتي من العدم ليذوب في العدم ..

هل تراه ؟ يعبر الأبيك والأبعاد كي يتجمد في صورة شعاع زمردى لا ينسى عن التوهج .. برأقا وامضاً وقرأقا ينساب في تودة .. فهل تراه ؟

تتوهج له أرواحنا قبل وجوهنا وسماتنا الخارجية ..  
لقد جاء من بعيد .. من قلب الكون حيث تنعس  
الأشجار .. من وراء السندم في المعجرات القصية ..  
من كهوف لم يزرها بشر .. من جزر لم ترسم على  
خريطة .. من كواكب لم يرها مرصد .. من الجانب  
المظلم من القمر ..

ربما لمحها - في فجر الكون .. غزال وليد ، فأجفل  
يلحق بخطأ أمه عبر سهول ( التايجا ) ، أو ارتجف  
لرؤياه طفل على كتف أمه ، فارتجفت بدورها لأنها  
لا ترى ما يراه .. فلا بد أنها بسملت وحوقلت ..  
ربما التمع لحظة في عيني فتساءت تمنيت أن تكون  
لك ، وعرفت أنك لها ..

ربما اقتسر له جسد ناسك يرمى السماء المظلمة  
وحيدا ، وربما رآه ( بيتهوفن ) ولم يستطع وصفه ،  
فداعب مفاتيح البيانو كي تولد سيمفونيته التاسعة ..

ربما رآه من يحتضرون لحظة احتضارهم ولم  
يصفوه قط .. ربما أبصره أكثر من شاعر طار صوابه  
بعدها .. فلم يكتب حرفاً ..

ربما يبقى بعد ما نغنى ..

ربما هو موجود قبل أن نوجد ..  
لكنه هَامس غريب متفرد ، لهذا لم نعرف  
بوجوده قط ..

هل تراه يا ( رفعت ) ؟

نعم أراه .. وأعجز عن وصفه ..

\* \* \*

كان الضباب الفوسفوري الأخضر الرقراق يتسلل  
في خط طويل بطيء من رأس ( ناهد ) إلى فضاء  
الغرفة .. يتلوى هنا وهناك .. يدور من حولي ومن  
حول رأس ( إيجور ) ثم ينتهي ليحيط رأس ( نجلاء )  
بهالة كهالات القديسين في رسوم ( رافائيل ) ..

وفي ذعر همست ( نجلاء ) :

- « بسم الله الرحمن الرحيم .. ما هذا ؟ »

برهبة ، وتؤدة همست لها :

- « يبقى كما أنت بلا حراك .. »

ونظرت مستغيثاً إلى ( إيجور ) ، لكنه - لحسن  
الحظ - لم يبدُ مذعوراً ولا مذهولاً .. كان يعرف  
ما عليه أن يتوقعه ..

قال لي بصوت ثابت :

« هذا هو ( الميال حيوى ) .. لا تخف .. لقد رأيتك كثيراً فى تجارب تحضير الأرواح ، ولا يمكن رؤيته إلا فى الأذعة تحت الحمراء .. »

وواصلت ( نجلاء ) الأتئين بلا انقطاع ، بينما حسدها ١٥٤ في حمار مغلفاً بهذا الضباب الأخضر .. ( إيجور ) يمسك بالكاميرا ويلتقط عدة صور للأختين .. كليك ! كليك ! كليك ! مستحيل أن يسمع هذا الظلام بصورة جيدة ، ما لم يكن هذا الفيلم من نوع خاص يلتقط الأشعة تحت الحمراء .. قال لى همساً :

« استمر فى إيذاء ( ناهد ) .. »

كانت ( ناهد ) مغمضة العينين كما أمرتها .. ومددت يدي بالدبوس كي أغرسه فى شحمة أذنها - برقق طبعاً - لكنها اختارت هذه اللحظة كي تفتح عينيها .. ولا بد أن ما رآته كان مرعباً ..

« أااااا ! أضيئوا الأنوار ! »

كانت صرختها مريضة كأنما تحاول استزاع نراعها الأيسر .. لكنى لا ألومها أبداً .. لا بد أن منظرنا كأشباح سوداء وسط ضباب فوسفورى أخضر كان مرعباً ..



يتلوى هنا وهناك .. يدور من حولي ومن حول رأس ( إيجور ) ثم ينتهي ليحيط رأس ( نجلاء ) بهالة كهالات القديسين فى رسوم ( رافائيل ) ..

وكانت الصرخة كافية كي يلاشئ الضباب بلا  
مقدمات ..

وبيد مرتجفة أضأت التور الكهربى، واتجه ( إيجور )  
إلى التافذة ليفتح ستارها .. ضوء الشمس الحبيب  
يسرب كأنه مسحوق غسيل فعال يزيل كل هذه الظلال  
النفسية ..

نظر حوله ثم قال :

- « هل الجميع بخير ؟ »

قلت له :

- « أظن هذا ، ما لم تكن واحدة منهما قد جئت .. »

ورحت أزيل الأقطاب عن رأس ( شاهد ) ، التسى

راحت ترتجف وأسنانها تصطك .. وراحت تردأ :

- « عفاريت ! أقم تتعاملون مع العفاريت ! لقد

كاتبوا هنا معنا .. أنا واثقة من ذلك .. »

- « ماذا تقول ؟ »

كذا سألتنى ( إيجور ) وهو يجمع حاجياته فى

حقيبته ، فترجمت له ما قالت الفتاة .. قال بابتسامة

غليمة بالأمور :

- « لا ألومها كثيراً .. لكن لا عفاريت فى

الموضوع .. قل لها : إن هذه صورة من الحياة  
اليومية فى معامل ( الباراسيكولوجى ) .. »

- « لن أقول ، فلن تفهم .. »

هنا دوت طرقات على الباب ..

- « د. ( رفعت ) ! هل أنت بخير ؟ »

لقد سمعوا صراخ الفتاة .. توتر ( إيجور ) لكننى

أشرت ببديى كى يظمن، واتجهت إلى الباب وقتحته ..

كان هناك ثلاثة أطباء وممرضتان وعامل ، قد

حشروا رعوسهم فى فتحة الباب محاولين فهم

ما يجرى هنا ..

قلت لهم بابتسامة مشجعة :

- « لا شيء .. إنه ( السيلال الحيوى ) قد آثار

رعب الفتاة .. إن هذه الأشياء تحدث ! »

هزوا رعوسهم فى فهم نعى وانصرفوا ..

هذا هو الحنّ الوحيد .. دعهم يعتقدوا أننى مجنون

وكفى .. أما إعطاء تفسيرات كاذبة فلن يزيد الأمور

إلا تعقيداً .. وعلى كل حال أعتقد أن كلاً منهم يخشى

أن يسأل الآخرين عن معنى ( السيلال الحيوى ) هذا ،

حتى لا يبدو جاهلاً بأمر بديهى ..

وعدت إلى ( إيجور ) أسأله :  
- « الآن أريد تفسيراً لكل ما حدث في هذه  
الغرفة .. »

\*\*\*

## الفصل العاشر : مهم نوعاً .. لكنه لن يضيف

شياً إلى الفصل التالي

قال ( إيجور تاركوفسكى ) :

- « إن الفتاة أتلية .. وهذا هو مفتاح الموضوع .. »  
كنا جالسين في ( كافتريا ) صغيرة على طريق  
المطار ، عالمين أنه يجب أن يكون في صالة  
المسافرين خلال ساعة ..

قلت له وأنا أقطع شريحة اللحم :

- « لقد كان يومك مرهقاً .. تجربة الصباح ، ثم  
طبع الصور ودراسة رسم المخ ، ثم استنتاج الموقف  
من كل هذا .. »

راح يبتلع طعامه مفكراً ثم قال :

- « هذا عملي وأنا أحب .. أنت رأيت الصور  
طبعاً .. فما رأيك ؟ »

وأشار إلى عددٍ صور ملتقاة على المنضدة بجوار  
طبقه .. « أنت - في أكثرها - تظهر بقعاً لونية لها  
السمت الخارجي لـ ( نايد ) .. هذا هو جسدها كما

تراه الأشعة تحت الحمراء ، وكان ( السيل الحيوى ) يخرج منها كدخان لفاقة تبغ وبتوى فى الهواء .. قلت له :

- « الأمر واضح .. كل شيء يبدأ من الفص الجبهي للفتاة .. إن رسم المخ - كما تؤكد أنت - يظهر نشاطاً كهربياً غير عادى هناك .. »

راح ينظر للجالسين حولنا : الفتى والفتاة الجالسين يتهامسان على منضدة ذاتية .. العجوز الأرسقراطية الصموت التى تحشو فيها بالمكرونة .. الرجل العصبى الذى يبدو كنص حقالب ، ولا يكف عن التلفت حوله ..

وقال :

- « كل هؤلاء بيعت منهم ( سيل حيوى ) فى كل لحظة من حياتهم ، ويؤثر بشكل ما على من يحيطون بهم .. لهذا تلقى من يمنحك البهجة أو النشوة ، وتلقى من يمنحك الكآبة أو القلق .. لهذا تعرف الشخص حتى لو تنكر بشكل متقن .. لهذا يمكنك أن تحسد الآخرين .. إن ( السيل الحيوى ) المنبعث منك يؤثر بشكل ضار فى ( السيل ) الخاص بمن تحسدهم ،

ولهذا يمرضون ويتشاجرون ويتصرفون بحمافة .. »  
- « هذا كلام شعرى لا يمكن إثباته .. »  
هز رأسه فى أسى ، وغغم :

- « هذا حق .. كل تجارب الباراسيكولوجى غير قابلة للتكرار للأسف .. وقد اعتدنا أن نساوى الـ (P) أكثر من خمسة بالمائة .. هذا قدرنا<sup>١</sup> .. »

لكن هناك ما يعرفه الإحصائيون بـ ( الخطأ من النوع الثانى ) ، حين تكون النتائج مهمة حقاً ، لكن الإحصاء يقول إنه لا أهمية لها .. ولعمري هذه هى مشكلة الـ (P) الأثرية ..

انتهت شريحة اللحم للأسف ولم أشبع بعد ، لذا رحلت ألتهم السلطة وأصغى لما يقول ( إيجور ) :

- « إن الفتاتين تملكان ذات ( السيل الحيوى ) ، لهذا كانتا على اتصال شعورى دائم كأنما ما يربط بينهما سلك من أسلاك الهاتف .. »

رفعت يدي معترضاً لأنكر - كما يقولون فى الاجتماعات - نقطة نظام :

(\*) سبق أن شرحنا معنى الـ (P) فى صفحة (١٠٦) .



« لحظة .. لقد ظهرت هذه الظاهرة في وقت متأخر نسبياً .. ربما بعد انتهاء فترة المراهقة .. »  
« منطقي .. أن تباعد الفتاتين جسدياً - بعد ما تزوجت إحداهما - جعل للرابطة المعنوية أقوى .. إن الهاتف لا أهمية له حين تكون زوجتك معك في غرفة واحدة ، لكن حين تسافر أنت يدنو الهاتف أهم جهاز في الكون .. »

كدت أخبره أنني غير متزوج ، ثم تجاهلت هذا حتى لا يسألني عن السبب وكل هذا الهراء .. وسألته أو - بالأحرى - عارضته :

« المفترض أن الظواهر الباراسيكولوجية تنتعش في سن مراهقة الفتيات ، وإلا لا تنتعش أبداً .. »  
« نحن لسنا بصدد ظاهرة باراسيكولوجية معروفة كالتحريك عن بعد أو التخاطر أو الوساطة .. نحن نتحدث عن اتصال شعوري لزداد قوة في فترة ما .. »

عدت أسأله وقد انتهت السلطة للأسف :

« لكن هذا الاتصال انقطع في فترة ما .. »

« بعد حادث الاختطاف .. هذا صحيح .. »

ورشف بعض الماء ، وأردف :

« لقد كان العذاب شديداً ، والخوف أشد .. لهذا قاومت ( نجلاء ) كثيراً كي تغني ارتباطها الشديد مع أختها .. إنها لا تميل إليها بحال ، لكن عقلها الباطن - عقل شهيدة حقيقية - لم يتحمل فكرة أن تعاني ( ناهد ) الآلام ذاتها .. هكذا ببساطة قام بقطع حبل الاتصال بين الأختين ، ولم تعد ( ناهد ) تستقبل شيئاً .. »  
« هكذا ببساطة؟ ثم أحسب (نجلاء) بهذا التبريل... »  
« هي بهذا التبريل لكنها لا تعرف .. وهذا هو سبب عذابها .. »

ثم مد يده بالسكين ، ووضع رغيفاً في طبقه ، وينصل السكين قسمه إلى نصفين :

« هكذا كانت الفتاتان كياناً واحداً سرعان ما انقسم في رحم الأم ، وظفرت واحدة منهما بقسط مثل من النفعية والأنانية ، بينما لم تظفر الأخرى بشيء منهما .. نفس الشيء حدث بالنسبة للجمال وفرص الحياة ، وإن كانت ( ناهد ) غير جميلة على الإطلاق بمقاييس أمريكا مثلى .. »

« أنت تعرف ما يحدث للتوائم السيامية كثيراً .. »

إذ يتحول واحد منهما إلى وحش أناني يمتص كل  
الغذاء ، ويمتص وجود أخيه نفسه ، ليتحول الأخير  
إلى ورم أو ثانوية في جسد الأول ..

« كانت ( ناهد ) توءمًا من هذا النوع الأناني ،  
لكنها امتصت ( نجلاء ) نفسيًا ، وببطء - حين انقطع  
الإرسال من جهة ( نجلاء ) - صارت ( ناهد ) قادرة  
على إرسال كل آلامها وأحزانتها إلى أختها الباسمة ..  
بل إنها ترسل مخاوفها كذلك لها ! »

التهمت أحد نصفي الرغبة ، وسألته :

- « ماذا تعنى ؟ »

- « شبح النفس الذي يطارد ( نجلاء ) .. من  
المنطقي أكثر أنه يطارد ( ناهد ) التي لا يد أن تشعر  
بعبدة ذنب تجاهه .. أعتقد أن هذا الشبح يطارد  
( ناهد ) أساسًا لكنها ترسله إلى أختها ! »

- « ( ناهد ) تفعل كل هذا ؟ »

- « لا شعوريًا تفعله .. عقلها الباطن يفعله .. »

وأشعل نغافة تبغ غريبة المنظر ، فسألته في حيرة :

- « حسبت من رسالتك السابقة أنك لا تدخن .. »

- « أحيانًا أفعل .. أحيانًا بعد وجبة دسمة كهذه ! »

نظرت إلى الأطباق الفارغة ، وتساءلت عن فارق  
للغلة ( دسم ) بين المصري والأمريكي .. لشد ما  
تتباين الثقافات ..

نفت بخان اللغافة في الهواء ، وقال :

- « ثمة نقطة مهمة لم تلحظها أنت ، ولاحظتها  
كأ في خطابك .. لقد أجريت جراحة - لقرحة معدية -  
ل ( ناهد ) ، وبرغم هذا لم تتم ( نجلاء ) عندما أخذت  
( ناهد ) جرعة التخدير .. وبعد هذا بأشهر نامت  
( نجلاء ) حين حققت أنت ( ناهد ) بال ( بارالدهايد ) ..  
لما سر هذا التناقض ؟ »

تسعت عياني .. حقًا لم أتنبه لهذا من قبل ..

قال مبتسمًا :

- « في الماضي كان البث الشعوري مزدوجًا  
بين الأختين ، وكان بوسع ( نجلاء ) أن تستجيب  
أو لا تستجيب ، لأن لديها مشاعرها الخاصة .. أما  
في الحاضر فقد صارت ( نجلاء ) تحت سيطرة ( ناهد )  
بالتكامل .. »

هزرت رأسي موافقًا ، وبدأت أفنك بنصف الرغبة  
الأخير ، فقال باسمًا :

- « لم أحسبك بهذه الشهية الطيبة برغم نحوك! »  
- « إنني لا أعترف بطعام المطاعم .. أعتبره نوعاً  
من فواتح الشهية لا أكثر .. ولا أنكر قط أنني شبعت  
في مطعم .. »

ويغم ممتلئ بالخبز سألته :

- « والحل ؟ »

قال في جدية وهو يرمق الصور :

- « إن ( ناهد ) استحوطت تماماً بسيئاتها الحيوى  
على أختها ، ولا مفر لنا سوى استئصال مصدر  
هذا السيل .. إن بوسعنا الآن أن نحدد ذلك المصدر :  
المنطقة (ب) من الفص الجبهي لـ ( ناهد ) .. وما  
أحدث عنه هنا هو الجراحة النفسية ، كالتي أجريت  
لـى فى ( الولايات ) .. إن دكتور ( إيرهارت ) فى  
( منيسوتا ) قد صار حجة فى هذه الجراحات ،  
ويعالج الهستيريا والوسواس القهرى بمبضعه ببراعة  
تامة .. »

ابتلعت ريقى ، وعدت أسأله :

- « والنفقات ؟ »

- « هل يمكن تدبير علاجها على نفقة الحكومة

هنا ؟ »

ابتسمت فى مرارة :

- « يمكننى أن أتصور نفسى وأنا أأكل الممسولين  
هنا عن ضرورة استئصال ( السيلان الحيوى )  
لـ ( ناهد ) على نفقة الدولة ! سيكون هذا مشهداً  
مسلماً حقاً .. »

أطفاً لغافة تبغه مفكراً ، ثم قال :

- « يمكن إقناع جامعة ( بوك ) بتحمل النفقات فى  
سبيل البحث العلمى .. إن حالة الأختين مغرية بلا  
شك ، وتهتم الكثيرين .. لكنى لا أضمن لك هذا ..  
يمكننى أن أؤكد أنني سأحاول جهدى .. »  
- « هذا ما أريده .. »

نظر لساعته ، وأعثن أن الوقت قد حان للذهاب  
للمطار ، فتأديت التأديلى أرفع الحساب .. قال  
( إيجور ) وهو يخرج حافظته :

- « دعنى أتولّ هذا .. ما دمت لم تشيع ! »

أسكت يده فى صرامة :

- « أنا من محافظة تدعى ( الشرقية ) .. ونحن  
لا نمرح فى أمور كهذه .. ثم إنك لست أمريكياً  
بالكامل ولا إنجليزياً .. أنت بولندى أصيل ! »

وأوصلته للمطار عاجزاً عن شكره بما يكفي ..  
لن يعرف أبداً كم أفادنى .....

\*\*\*

## الفصل الحادي عشر : شديد الأهمية لهذا الفصل

بقراءة ما سبق لفهمه ..

بعد ثلاثة أيام :

جرس الهاتف يدق بلا انقطاع فى دارى ، ذلك  
الرنين الطويل الذى يثسى بمكالمة غير محلية .. إن  
المكالمات المحلية تجلب الهموم ، لكن غير المحلية  
تحمل المصائب دائماً ..

وهرعت إلى السماعرة وقلبي يتوثب .. فسمعت من  
يتكلم بالإنجليزية .. ليس هذا من ( كافر بدر ) طبعاً  
ما لم يكن النورد ( كيلرن ) قد تولى العمودية هناك ..  
وأخيراً جاء صوت ( إيجور ) :

- « د . ( رفعت ) .. إتهم موافقون هاهنا ! »

- « ماذا ؟ وافقوا دون مشاكل ؟ »

- « كانت هناك مشاكل لكنى ذللتها ، والدكتور  
( إيرهارت ) مستعد لإجراء الجراحة مجاناً فى  
مستشفاه بـ ( منيسوتا ) .. »

- « حقاً لا أعرف ما أقول لك .. »

- « أنت تعرف كيف تتصل بى .. عندما تستعد

الفتاتان سأرسل لك بالتعليمات ، وسوف تجد تذاكر  
السفر في مكتب القائم بالأعمال .. »  
- « شكراً يا ( إيجور ) .. شكراً ! »  
ووضعت سماعة الهاتف ، وارتديت ثيابي على  
عجل ..

\* \* \*

الأمرة كلها جالسة في قاعة الجلوس ، التي جعلها  
الارتحام كحافلة في ساعة الذروة .. أمامي تجلس  
( نجلاء ) منزوية ترمق الأرض بلا انقطاع ، وفي  
أريكة واحدة يجلس الأب والأم لا يقفان ما يحدث ،  
وجوارهما ( محمد شاهين ) ..  
أما ( محمود ) و ( ناهد ) - وقد جلس ابنيهما على  
ركبتي أبيه - فيجلسان على مقعدين متجاورين ،  
ويظن ( ناهد ) المنتفخ يشي بأننا اقتربنا جداً ..  
نظرات الارتباب في شخصي المتواضع لا تتوقف ..  
( كمال ) يقف جوار النافذة مستنداً بكوعه إلى  
إطارها ، ويحاول الفرار بعينه منها كي لا يراها  
ولا تراه ..  
كان قدوم ( كمال ) هو أفضل ما استطعت عمله ،

وهوساطة قوية من ( مختار ) المحامي .. أنا لا أقتنع  
أحدًا ، لكن ( مختار ) قوة كاسحة عاتية تجرف أمامها  
كل شيء ، ويستحيل معها أن تعلن رأيك الخاص ..  
كالت جلسة أمس مع ( مختار ) هي التي نجحت في  
ضل مخ الفتى ، ولم يكن شريكاً معضاً في شره ..  
كان يحب ( نجلاء ) حقاً ، وتكفيه لمسة إصبع كي  
يعود لها طائلاً الصفح ، وردها إليه ..

لقد أسعد هذا ( نجلاء ) ، لكنها أزمعت أن تلعب  
لعبة الأنثى العتيدة ، وتنتظر بأن الأمر غير ذي  
أهمية لها .. إن الحياة ممكنة من دون ( كمال ) كما  
هي ممكنة به ..  
كان هذا الموقف حين بدأت جلستنا هذه في بيت  
الأمرة ..

\* \* \*

قلت لهم منتقياً كلماتي :  
- « كما ترون قد فرغ الدكتور ( تاركوسكي )  
من إجراء اختباره ، وهو يرى أن وضعنا ليس  
مستحيلاً .. إن ( نجلاء ) و ( ناهد ) قابلتان للشقاء  
من هذا الارتباط السخيف .. »

هنا قال ( محمود ) متمللاً :

- « لكن هذا الموضوع انتهى منذ زمن طويل .. »  
- « انتهى بالنسبة لزوجتك ، لكنه قائم وبشكل  
شنيع بالنسبة لـ ( نجلاء ) ، وما لم نفعل شيئاً سنظل  
تلعب دور مركز الآلام لأختها ، وهذا ليس عدلاً على  
الإطلاق .. »  
- « والحل ؟ »

كان الأمر عسيراً بحق ، ولقد أصرت على إقحام  
( كمال ) لأجد في جانبه ما يعضدني .. إن ما أقوله  
سيفجر في وجهي غضبة عاتية ..  
قلت في تودة :

- « هناك جراحة .. وهي ليست بالضبط جراحة  
هينة ، لكن نسبة نجاحها لا بأس بها ، وسيكون على  
الجراح أن يستأصل من مخ ( ناهد ) ذلك الجزء  
المسئول عن تدفق السائل الحيوي إلى أختها ..  
بعبارة أخرى سنقوم بقطع سلك الهاتف بين الأختين ..  
- « أعرف أن هذا عسير ، لكن يطمئننا  
أن الجراحة ستجرى في مركز مختص بهذه الأمور  
في ( مينيسوتا ) .. وستحمل جامعة ( دوك ) كافة نفقات

الجراحة ، فلن يكون علينا سوى الذهاب إلى ( أمريكا )  
برأس ( ناهد ) ! »

- « ونعود من دونه ! »  
قالها ( محمود ) في ضيق ، وهو ما كنت أتوقعه ..  
قلت له في كياسة :

- « لن يعود أحد دون رأس .. إن الجراحة النفسية  
علاج فعال معترف به ، وما من حل آخر .. »  
- « نحن - ببساطة - نرفض هذا الحل .. »  
وبسماجة أضافت ( ناهد ) :

- « ثم لا تنس أنني حامل في الأشهر الأخيرة ..  
بل الأيام الأخيرة .. »

قلت وأنا أنظر إلى ( نجلاء ) الصموت :

- « ونحن سننتظر حتى تضعي حملك .. لن يجري  
أحد جراحة في المخ لحامل متّم .. »  
تسعت عيناها في توحش ، وقالت :

- « سأكون واضحة .. أنت تريد مني أن أسلم رأسي  
نعمائك المخبولين هؤلاء كي يقطعوا جزءاً من مخي ،  
وكل هذا على أساس نظرية نك الأمريكي غريب الأطوار ..  
والمطلوب علاجي من مرض لا وجود له أصلاً .. »

- « لكنه موجود بالفعل لدى ( نجلاء ) .. هذه هي المشكلة .. لو كنت أنت من تعاتين لبحثت بكل قواك عن مخرج .. أما والنار في بيت الجيران فما دخلك أنت بالموضوع ؟ »  
قال ( محمود ) في كياسة ، وبلهجة من يهدئ الأمور :

- « دكتور ( رفعت ) .. أنت أسديت لنا خدمات كثيرة ، وكنا صديقين لفترة لا بأس بها .. لكني أراك تقول ما لا يصدقه عقل .. ومن جديد نحن نرفض هذا الاقتراح المخيف .. »  
هنا قاطعته ( ناهد ) في عصبية ، وبتوحش متزايد قالت لي :

- ليس هذا كل شيء .. يجب أن تكف عن الإيقاع بيني وبين أختي .. كف عن إشعارها بأنني أمك الحل ولا أريد تقديمه لها .. كف عن وضعي في صورة الأمانة .. »

كانت قد تحولت الآن إلى نمر شرس مخيف بحق ، فلا يدنو منه إلا مجنون .. وكنت أنا هذا المجنون .. قلت في برود :

- « أنا لا أشعرها بشيء .. أنت بالفعل تمكين الحل .. »

نفخت غيظًا واحمر وجهها .. كانت من النسوة المتبرجات اللواتي يزلن شعر حواجبهن ليرسمن بدلاً منها خطأً بالقلم الأسود ، ولم يكن تأثير هذا - مع غضبها - محببًا للنفس .. كان تأثيرًا شبه شيطاني .. قالت :

- « حسن .. أنا أرفض حلك هذا وأريد منك أن تخرس ! »

كان وقع الكلمة عنيفًا ، وشعرت بصفعة معنوية على خدي .. فأنا لم أعد الإهانة قط .. وسمعت ( محمد شاهين ) يطقق بلسانه معترضًا .. نظرت إلى ( نجلاء ) ، وبصوت مشروخ قليلاً سألتها :

- « ( نجلاء ) .. لماذا تلزمين الصمت ؟ »

لم ترفع عينها نحوي ، وهمست :

- « وماذا أقول ؟ »

- « قولي رأيك ! »

وقال ( محمد شاهين ) في لهفة :

- « (نجلاء) .. هل أنت راضية؟ »

بابتسامة جاتبية مريرة ، قالت :

- « أنا أجد الاقتراح غير منطقي ، عسيراً أن أتبعه .. ولو كنت مكان (ناهد) لما قبلت ! »

سرت تنهيدة ارتياح في جو الحجرة ، والتعمت ضحكة وحشية كرهية على وجه (ناهد) ، ثم قال (محمود) بتؤدة :

- « لقد سمعت ما قيل يا د. (رفعت) .. اعتقد أنه ما من أسئلة أخرى .. »

ثم نهض في إمساءة ظاهرها اللطف وباطنها الإهانة ، وقال :

- « الآن نرجو عذرك لأن هناك أموراً عائلية خاصة ستتم مناقشتها ، وهي ليست مما يمكن قوله أمام الغرياء ! »

كان هذا هو الطرد ..

المعنى واضح إذن .. نحن جميعاً متفقون .. فمالك أنت بنا يا أحمق ؟ أسرة سعيدة متماسكة ..

دون (رفعت إسماعيل) و (إيجور) و (راين) وكل علماء (دوك) المتطفلين ..

ودون كلمة أخرى غادرت المكان .....

\*\*\*

طبعاً لا داعي لذكر تفاصيل المرض الذي ألم بي ، والزمني الفراش لمدة أسبوع بعدها ..

لقد حار زملائي قيه ، واعتقدوا أنها حمى تيفودية أو .. أو .. لكني كنت أعرف التشخيص الصحيح .. إن كبريائي وقد جرح يلزف سموماً في دمي ..

طبعاً لن أحكى هذه التفاصيل السخيفة ، فهي شرس معروف ..

فقط أقول إنني قلت لنفسى : هذا هو جزاؤك الحق .. لماذا تتدخل فيما لا يعنيك وتسدى العون لمن لم يطلبه ؟ أتطلب مزيداً من الحكمة والعلم ؟ ما جدوى الحكمة والعلم اللذين يسببان طردك بهذه الطريقة ؟

أسبوع مرّ على في الشقاء .. لكني في نهايته كنت قد غدوت شخصاً آخر .. شخصاً لا يبالي بالآخرين .. والمؤسف أنني كنت بهذا سعيداً راضياً ..

\*\*\*

وبعد أسبوعين من تلك الجلسة الدامية قُلت (ناهد) ..





وانتفت الزوج إلى الورا ليرى المشهد الدامى ، وفى اللحفة ذاتها كان المعتدى - ملوحًا بسكينه - يحاول أن يشق الزحام ميتعدًا ..

كان هذا فى السابعة مساءً ، وقد انتهت إجازه زوجها ، لذا كانت تعذ كل شئء للسفر فى الغد إلى ( أسوان ) .

أخبرنى د. ( محمد شاهين ) وهو بيكرى أن ( محمود ) و ( ناهد ) وطفليهما نزلوا إلى الشارع للتمسوق .. وكان الشارع للتجارى مزدحمًا يفص الناس ، و ( ناهد ) تمشى وراء زوجها فى حذر كى لا يصطدم أحد ببطنها الكبير ..

هنا برز رجل من وسط الزحام ، وقبل أن يفهم أحد ما حدث غرس سكينًا فى عنقها ، وهو يصرخ :  
- « من أجل ( صلاح ) ! »

وانتفت الزوج إلى الورا ليرى المشهد الدامى ، وفى اللحفة ذاتها كان المعتدى - ملوحًا بسكينه - يحاول أن يشق الزحام ميتعدًا .. أجفل بعض المارة وابتعدوا .. لكن اثنين من أولاد البلد ( الفتوات ) استطاعا أن يجندلا المعتدى أرضًا ويصرعاه ، وكان هناك ملازم شرطة شاب فى ثياب مدنية ، وثب على المعتدى واستزع السكين من يده ، وألصق بجبهته طبيجته الحكومية ..

لقد تم القبض على الفاعل .. الذى هو ( ماهر )  
طبعاً - لكن بعد ما حدث الضرر المطلوب ..  
ها هي ذى ( ناهد ) ترقد على الرصيف ، فى بركة  
من دمها ، مفتوحة العينين شاخصة للسماء ، والزوج  
يحاول ذاهلاً أن يعرف موضع الخلل الذى انتزع الحياة  
من هذا الجسد ..  
« إسعاف ! إسعاف ! »

طلبها ، وطلبها بعض الواقفين ، لكن - بالنسبة  
لأكثرهم - كان الأمر واضحاً تماماً .. لقد ماتت المرأة  
على الفور .....

لقد انتظر ( ماهر ) اللحظة المناسبة طويلاً جداً  
جداً ، وكان ينوى قتل الزوج لكنه عدل عن ذلك ،  
فـ ( ناهد ) ضحية مفضلة لأنها تعذب الزوج للأبد ،  
ثم إنها الحبة القاسية الذى تخلى عن أخيه ..  
وما هو ذا يفعلها فى أبعاد اللحظات عن توقع شيء  
كهذا ..

\*\*\*

أخبرنى ( محمد شاهين ) بهذا هاتفياً ، وهو لا يكف  
عن البكاء ؛ فسألته :

- « والجنين ؟ »

- « بالطبع مات بدوره .. ماذا تريد ؟ »

هنا تذكرت .. ثمة مأساة أخرى أكثر أهمية :

- « وماذا عن ( نجلاء ) !؟ »

- « لم تعرف بعد .. إنها مع زوجها فى

( الإسكندرية ) ولا تعرف كيف نتصل بها ! »

- « يا حمقى ! »

كانت المأساة قد وقعت فى السابعة مساءً ،  
وأخبرنى ( محمد شاهين ) بها فى الثالثة بعد منتصف  
الليل ..

لقد سافرت ( نجلاء ) مع زوجها إلى ( الإسكندرية )  
على سبيل شهر عسل ثانٍ ، وكى تهديء أعصابها بعد  
كل ما كان من توترات .. ولكن يا له من وقت ! يا له  
من وقت !

سألته فى حنق :

- « وهل تعرفون أين تقيم ؟ »

- « عند أخت ( كمال ) فى ( العصارفة ) .. لماذا

تسأل ؟ »

- « وتعرف عنوانها ؟ »

- « ربما أجده عند أم ( كمال ) .. ولكن لماذا تسأل ؟ »

- « لأنك أحمق ! يجب أن نسرع حالاً إلى ( الإسكندرية ) ، فلو صح توقعي ، أعتقد أن الأستاذ ( عبد الجواد خليفة ) قد فقد ابنتين لا واحدة ! »  
قال لي ذلك الجانب الطفولي من عقلي الباطن ..

- « ألم تقسم على عدم التدخل في شئون أسرة المتاعب هذه ؟ »

فيقول له الجانب الناضج من عقلي :  
- « ثمة أشياء أهم من الكبرياء ، وأمور لا يمكن التردد فيها أساساً .. »

وهكذا - أتمتع تعرفونني - رحلت أشرق الطريق الزراعي بسيارتي ، جوار ( محمد شاهين ) الذي أساء الذعر حزنه ، وراح يرند الأدعية كي لا تتقلب السيارة ..

كان الظلام دامساً وثمة ( شבורة ) لا بأس بها ، في هذه الساعات الأولى من اليوم .. وشعرت كأنني أشرق طريقى وسط سحابة ، أو وسط غابة من القطن الأبيض ..

ثم أخف لأنسى كنت منهمكاً في توجيه اللوم والسياب لمراقفي :

- « يا حمقى ! يا أغبي الناس طراً ! لقد كان يوم عرفتكم يوماً لم تشرق له شمس .. والأسوأ منه يوم جعلتك تدخل داري في البداية ! »  
فكان يرتجف وينصحنى بأن أهدأ كي لا نموت ..

\*\*\*

وبعد مائة دقيقة لا أكثر كنت أشرق شوارع المدينة النائمة ، مسترشداً بوصفه .

أخيراً وصلنا للبنية المتواضعة في الشارع الذي أغرقه الضباب .. ثمة كلب ينبج في مكان ما ، وكلب يردّ عليه .. البرد .. الصمت ..

قلت لـ ( محمد شاهين ) وأنا أطفئ المحرك :  
- « لا أرى أثر موت .. لكن اصعد لتري .. »  
- « بل تجيء معي .. »

وترجلنا ، ورحنا نرمق الكائن المظلم المغلق على أسراره ..

- « هذا هو العنوان لا شك في هذا .. »  
وفي ببطء صعدنا الدرجات المظلمة .. كل شيء ينكرني بيت ( شبرا ) كأن ( نجلاء ) - حتى حين

## الخاتمة

عزيزى ( إيجور ) :

..... وكما ترى من رسالتي الطويلة ،  
كانت هذه خاتمة الأحداث الدامية والمؤسفة التي  
عصفت بهذه الأسرة ..

أما تفسيري لما حدث ، فهو أن موت ( ناهد )  
قطع الرابطة ما بين التوعمين ، وتحررت ( نجلاء )  
أخيراً ..

لقد كان جل ما شعرت به هو ألم حاذق في العنق ،  
وبحة في صوتها ، حتى إنها اضطرت إلى ربط  
عنقها .. لكنها ظلت حية ..

هذه هي الإجابة عن سؤالنا عما كان سيصيب  
إحدى الأختين لو ماتت الأخرى ..  
لقد تم استئصال الجزء النشط من عقل ( ناهد )

بطريقة جذرية للغاية ، وإن كنت لا أشعر بأسف كثير  
لهذا .. لقد استحكمت ( نجلاء ) حرقتها ، وإننى لواجد  
عدالة شعرية لا بأس فيما حدث ..

تنتزه - لا تختار سوى ما يشبه بينتها الأصلية ..  
وعند الطابق الثانى والأخير قرع ( محمد شاهين )  
الجرس طويلاً ..

ونظرت لساعتي : السادسة صباحاً تقريباً ، ولما  
تشرق الشمس بعد .. وزوار الفجر يلهثون بانتظار  
فتح الباب ..

صوت المزلاج .. سؤال لفظ عن الطارق ..  
الشراعة تنفتح ..  
ضوء السلم يضاء ليغمرنا بالنور ..

رجل لفظ الملايح خشنها بطافية النوم يرمقنا فى  
ذهول غاضب ..

ومن خلف ظهره لمحت وجه ( كمال ) المتسائل  
المندهن ..  
وبعد دقيقة برز فى مجال الرؤية ما كنت أبحث  
عنه ..

( نجلاء ) ..  
كانت سنيمة معافاة لو تجاوزنا عن المنديل  
المربوط حول عنقها ..

هلكت الفتاة السينة، وعاشت الطيبة سليمة معافاة ..  
وإنى لأرى بعين الخيال ..  
أرى ( نجلاء ) و ( كمال ) يظفران بسعادة  
استحقاها وتم يظفرا بها قط ..  
أرى طفلتها الجميلة الطبيعية تفرح بينهما ..  
أرى ابن ( ناهد ) يترعرع فى دار خالته طيبة  
القلب ، دون أن يشعر لحظة بالحرمان من أمه ..  
أرى ( محمود ) وقد عاد وحده إلى ( أسوان )  
يمارس حياته بلا مخاوف .. ولسوف ينسى .. حتماً  
سينسى ..

أرى ( نجلاء ) - بعد عمر طويل وشيب كثير -  
تلفظ أنفاسها الأخيرة ، لتلق بـ ( ناهد ) فى العالم  
الأخر ، وأعرف مطمئناً أنه - للمرة الأولى - لن  
تتعذب واحدة منهما بدلاً من الأخرى ، لأنه عالم عادل  
تسوده الرحمة الإلهية ..

\*\*\*

انتهت قصة التوعمين ..  
وحتى لى أن أنظر ببعض الراحة ..

لكنى - فى ملاحقنى للغرائب - شبيهه بالنشال الذى  
لا يتوب أبداً ، مهما أمسكت به الشرطة ، ومهما تلقى  
على ففاه من صفعات فى الحافلات ..  
لهذا كانت هناك حلقة رعب ..  
وهذه الحلقة .. كانت تدور حول موضوع محبب :  
الرعب خلف باب مغلق ..  
كانت هناك قصص عديدة ، لكن أفضلها كان .....

د. رفعت إسماعيل  
القاهرة

مع تحيات منتدى ليلاس